د.جمال الدين فالح الكيلاني

الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي

دراسة تاريخية



دار الزنبقة

دار الزنبقة للطباعة والنشر
القاهرة

05-09-2014

Narjis1234@yahoo.com

الرحلات والرحالة
في
التاريخ الأسلامي

"دراسة في مصادر التاريخ الاسلامي الوسيط"

دكتور
جمال الدين فالح الكيلاني
أستاذ التاريخ والحضارة العربية الأسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا

مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ))

صدق الله العظيم

سورة الأعراف: آية10

الإهـــداء

إلى نهر العطاء الخالص.

إلى من أمدني بمعينٍ لا ينضب.

حتى أينعت ثمار العلم.

أستاذي وشيخي ومعلمي

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

إليه اهدي أجمل القطاف.

شكر و تقدير

يطيب لي أن أشكر بحرارة الدكتور عماد عبد السلام رؤوف والدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي لما أبدياه لي من مساعدة كبيرة وما قدماه لي من نصائح قيمة ذللت أمامي الكثير من الصعوبات .

وأقدم شكري وتقديري لكل الأساتذة الذين أكرموني بعض جهدهم ووقتهم وأخص بالذكر الدكتورة صباح الشيخلي أستاذة التأريخ في كلية الآداب / جامعة بغداد والأستاذ الدكتور طارق الحمداني أستاذ التأريخ في كلية التربية / جامعة بغداد .

وأتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى جميع الأخوة العاملين والعاملات في المكتبة المركزية بجامعة بغداد والعاملين في المكتبة الوطنية ومكتبة الجامعة المستنصرية ومنتسبي مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب/ جامعة بغداد ومكتبة قسم التأريخ في كلية التربية / جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

قبل أن يصبح التاريخ "علماً" له نظرياته وأسسه الفلسفية وقوانينه وتحقيقاته وتعليلاته، لدى ابن خلدون ومن جاء بعده، كانت الكتابات التاريخية عند العرب تسير وفق أنماط متصاعدة تتفاوت في عمقها وسرعتها وتأثرها بالاقليم والعصر.

ولا بد لنا من إلمامة بتطور تلك الكتابات التاريخية ورصد اتجاهاتها، وتمحيص ما يتصل بها من سرد حوادث، وتيارات سياسية واجتماعية وشعوبية.

ويمكن أن نتوقف عند القرن الثاني للهجرة، ولدى بعض رواة التاريخ والمغازي والسيرة، من أمثال "وهب بن منبه" (1) المتوفى 411هـ -732م. وعروة بن الزبير (ت 94هـ - 712م(2) . وشرحبيل بن سعد (ت 123هـ - 740م) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت 120هـ - 737م).

وقد كانت كتابات هؤلاء في المغازي تمهيداً هيأ الأرضية اللازمة لمن جاء بعدهم كالزهري والواقدي وابن اسحق.

فالزهري (ت 124هـ - 741م) هو الذي توسع في جمع الروايات وتمحيصها واستخدام عبارة "السيرة" بدلاً من المغازي. حتى إذا وصلنا إلى ابن اسحق (ت 151هـ - 761م) نجده يمضي شوطاً في الجمع بين الروايات التاريخية والأحاديث الشريفة والشعر والقصص الشعبي. وقد وصلتنا السيرة التي كتبها ابن اسحق منقحة على يد ابن هشام (ت 218هـ - 813م) ومن أعلام تلك المرحلة "الواقدي" (ت 207هـ) في كتابه المغازي وكتبه الأخرى.

وتبرز لدينا أسماء مثل أبي مخنف(3) وعوانة بن الحكم(4) ونصر بن مزاحم(5) ، وذلك في سياق رواية الأخبار، ولعل أبرز هؤلاء الإخباريين (المدائني 225هـ)(6)، (وابن الكلبي 204هـ) (7) ، والهيثم بن عدي (206هـ)(8) وأبو عبيدة(9) (211 هـ).

وقبل أن نغادر القرن الثالث للهجرة يقف أمامنا "البلاذري ت 279هـ"(10) صاحب /فتوح البلدان/ و/أنساب الأشراف/. وهو وإن كان يعتمد على أخبار من سلفه، إلا أنه ينتقد تلك الأخبار ويفحصها وينتقي منها. وكذلك يفعل معاصره اليعقوبي(11) (ت 284هـ) في كتاب "البلدان" الذي يعتبر أول كتاب في الجغرافية التاريخية. ثم ابن قتيبة (ت 270هـ) (12) في كتاب "المعارف" والدينوري (ت 288هـ) في كتاب "الأخبار الطوال".

حتى إذا دلفنا إلى بداية القرن الرابع الهجري نجد (الطبري ت 310هـ) الذي تكتمل لديه مرحلة نضوج البدايات والتكوين للكتابة التاريخية. وقد اعتمد الطبري على ثقافته الواسعة ومنهجه كمحدث وفقيه يدقق في السند ويمحص الروايات.

وهكذا نجد تفاوت مدارس الكتابة التاريخية في مراحلها عبر القرون الثلاثة، وعبر الأماكن المختلفة في المدينة والكوفة والبصرة وبقية الأمصار وصولاً إلى القرن الرابع الهجري الذي نتوقف معه عند مسكويه(13) وتطويره للمنهج التاريخي ثم عند ابن الخطيب وابن خلدون والمقريزي كأمثلة لأبرز المؤرخين أصحاب المنهج الواضح في الكتابات التاريخية.

ترك أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه أكثر من أربعين كتاباً(14). أبرزها كتابه الهام "تجارب الأمم" المطبوع في طهران بتحقيق وتقديم أبي القاسم إمامي. وقد عاش مسكويه قرناً كاملاً (320-421هـ) واعتمد على الطبري بصورة واسعة، كما اعتمد على مشاهداته وتجاربه في حياته الطويلة، واطلاعه على علوم العصر من فلسفة وأديان وحديث ورواية.

ويمثل مسكويه خطوة متقدمة في الكتابة التاريخية الموضوعية، فإنه على الرغم من معاصرة السلاطين والوزراء البويهيين لا نجده يمدحهم أو يتملقهم في كتاباته. ولم يظهر ميلاً إلى تيار أو ملك أو اتجاه، بل حاول أن يرصد عصره ويحلل أحداثه بعقلانية، إلى درجة أنه لقّب بالمعلم الثالث نظراً لتمكنه من الفكر الفلسفي والإفادة منه في الكتابة التاريخية.

ويمكن تلخيص ملامح المنهج التاريخي لدى مسكويه على النحو التالي:

ـ التاريخ أحداث يمكن أن يستفيد منها الإنسان في أمور تتكرر ، أو يمكن أن تحدث مستقبلاً .

ـ أمور الدنيا متشابهة في الإطار العام وعلى الإنسان تجربتها .

ـ مقارنة الماضي بالحاضر للإفادة من خبرات الماضي .

ـ ضرورة غربلة الأخبار من الأساطير والأسمار والمعجزات .

ـ محاولة تفسير أحداث التاريخ وفق منهج علمي تجريبي قائم على الحذر في تلقي الروايات ، والدقة في تحليلها .

ـ استفاد مسكويه من فكره الفلسفي في تفسير التاريخ . فهو بذلك أول من بدأ فلسفة التاريخ .

ـ مسكويه موضوعي لا ينطلق من تصور مسبق . وحيادي في قراءة مصادره والإفادة منها .

ـ يعتبر كتابه : " تجارب الأمم " من أهم المراجع التاريخية لأنه سجل حي لأحداث القرن الرابع الهجري. وقد سجل مسكويه تلك الأحداث من أصحابها وقام بتفسيرها على أساس الاستدلال الفلسفي الواعي، والنظرة العملية، والذهن البنّاء المنظم، والنظرة المحايدة.

ونلمح أثر هذا المنهج بصور مختلفة لدى المؤرخين المسلمين الذين أتوا في العصور اللاحقة مثل رشيد الدين فضل الله (ت 718هـ) وهو صاحب كتاب "جامع التواريخ" وابن خلدون والسخاوي والمقريزي وبعض مؤرخي الأندلس ممن سوف نتوقف عندهم.

وقد اعتمدت نشأة علم التاريخ في الأندلس على تأثيرات مشرقية، وتبرز لدينا في الأندلس أسماء هامة تراكمت لديها خبرات أخذت تتبلور مع الزمن. ومن هذه الأسماء عبد الملك بن حبيب وأبناء الرازي، وابن القوطية وعريب بن سعد. ثم تغدو الكتابة التاريخية أكثر نضوجاً وأرسخ قدماً لدى أبي مروان بن حيان صاحب المقتبس. وابن حزم العلامة الموسوعي صاحب الجمهرة والفصل، ثم ابن صاحب الصلاة، وبني سعيد في كتابيهم الموسوعيين "المُغرب" و"المُشرق"، وسواهم. (15)

وحينما نصل إلى القرن الثامن الهجري" الرابع عشر الميلادي"تكون الكتابة في علم التاريخ قد بلغت أوجها لدى ابن الخطيب العلامة الموسوعي، وابن خلدون صاحب فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

ونتوقف قليلاً عند المنهج التاريخي لدى لسان ابن الخطيب في كتبه التاريخية المختلفة، وبخاصة الإحاطة في أخبار غرناطة (16) واللمحة البدرية(17) ونفاضة الجراب (18).

وتبدو أبرز عناصر منهجه التاريخي في الملاحظات التالية:

-التاريخ <u>فنٌ</u> غايته نقل الأخبار.

2-<u>الفن التاريخي</u> مأرب البشر ووسيلة .... النشر، يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعاً وطبعاً ما فيه، ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والرفيه، ويرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره ويشفيه...." (19)

وهكذا فالتاريخ معرفة الماضي للإفادة منها في رؤية الحاضر.

3-التاريخ لدى ابن الخطيب ليس مجرد نقل للأحداث السياسية وسيَر الملوك والسلاطين، بل هو تصوير للحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية بما تشمله هذه الحياة من رقي وازدهار، أو تخلف وتدهور. وهو في ذلك يتابع التفاصيل الدقيقة للموضوع الذي يتحدث عنه.
يتحدث في الرحلة الأندلسية" خطرة الطيف" عن مشهد استقبال السلطان من قبل سكان إحدى المناطق في وادي فرذش، فيقول:
"واستقبلتنا البلدة حرسها الله- نادى بأهل المدينة، موعدكم يوم الزينة، فسمحت الحجال بربابتها والقلوب بحباتها، والمقاصر بحورها والمنازل بدورها، فرأينا تزاحم الكواكب بالمناكب، وتدافع البدور بالصدور، بيضاً كأسراب الحمام،...."
ثم يقول:" واختلط النساء بالرجال، والتقى أرباب الحجا بربات الجمال..ز فلم نفرق بين السلاح والعيون الملاح، ولا بين البنود حمر الخدود....

ويلاحظ هنا دقة ابن الخطيب، كما يلاحظ وصفه للحياة الاجتماعية التي يظهر فيها النساء والرجال. كما يشير في مكان آخر إلى وجود رعايا مسيحيين في مملكة غرناطة خرجوا لاستقبال السلطان وهم يتمتعون بكامل حقوقهم.

4-يركز ابن الخطيب على الوصف الجغرافي للأماكن التي يتحدث عنها ويجعل هذا الوصف مدخلاً لبحثه التاريخي. وهذا ما فعله في حديثه عن غرناطة في مقدمة كتابه"الإحاطة" وكذلك في كتابه "نفاضة الجراب" حينما يصف الأماكن التي زارها. ومن ذلك حديثه عن مدينة أغمات في كتاب "نفاضة الجراب" حيث يقول:
"ثم أتينا مدينة أغمات في بسيط سهل موطأ لا نشز فيه، ينال جميعه السقي الرغد، وسورها محمر الترب، مندمل الخندق، يخترقها واديان اثنان من ذوب الثلج، منيعة البناء، مسجدها عتيق عادي، كبير الساحة، ومئذنته لا نظير لها في معمور الأرض..." (20).

5-يحترم ابن الخطيب التسلسل الزمني بدقة وموضوعية، شان المؤرخين المحترمين، فهو يستعرض الدول ونشوءها وسقوطها استعراضاً تاريخياً دقيقاً، ولا يقرب دولة لشرفها أو مكانتها كالأدارسة مثلاً. وقد فعل سواه ذلك تقرباً لسلاطين عصرهم.

6-يدأب ابن الخطيب على ذكر مصادر معلوماته، ويحرص على ذكر المؤرخين السابقين باحترام. وقد أورد من الأسماء ما يشير إلى سعة إطلاع وعمق معرفته. فهو يذكر في مقدمة الإحاطة الكتب التي اطلع عليها كتواريخ للمدن أراد أن ينافسها في كتابه "الإحاطة" ومن ذلك على سبيل المثال: تاريخ بخارى لأبي عبد الله الفخار، وتاريخ أصبهان لصاحب الحلية، وتاريخ همذان لغنا خسرو الديلمي،.... وتاريخ الرقّة للقشيري، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسكندرية لوجيه الدين الشافعي، وتاريخ مكة للأزرقي... الخ.

إن ذكر هذه الأسماء دليل على سعة المعرفة، وأمانة النقل، واحترام الرأي الآخر.

7-حرص على الاستعانة بالمعلومات من مصادرها القريبة. ومن ذلك طلبه من صديقه سفير قشتالة يوسف بن وقارق معلومات عن تاريخ الممالك النصرانية: قشتالة وأراغون والبرتغال وذلك لتكون معلوماته موثقة ومستندة إلى مراجعها (21).

8-اعتماده على مشاهداته من النقوش والكتابات على العمائر والأضرحة والمنشآت المختلفة، وتوثيق تلك النقوش والكتابات والإفادة منها في مادته التاريخية.

9-أخلاقيته العالية في منهجه التاريخي، وصدقه وموضوعيته ومثال ذلك رسالته التي نصح فيها الملك القشتالي بدرو القاسي، وقد أوردها المستشرقون الأسبان كشاهد على أخلاقية ابن الخطيب. وقد أورد الحادثة المؤرخ الأسباني المعاصر دي إيالا. ووصفها المؤرخ "جاريباي" بأنها قيم أخلاقية جاءت من هذا المسلم ابن الخطيب، وهي تفوق في قيمها ما كتبه سينكا وغيره من فلاسفة الرواقيين الأقدمين(22).

10-مزج ابن الخطيب بين التاريخ والجغرافية والرحلات في إطار من النثر الفني الرشيق والبليغ. بحيث جاءت كتاباته التاريخية يغلب عليها الطابع الأدبي والسجع اللطيف.
هذه الملاحظات العشر هي التي تميز المنهج التاريخي لابن الخطيب ويمكن مقارنتها مع مؤرخين آخرين أحدهما من القرن الرابع الهجري هو مسكويه. والآخر معاصر لابن الخطيب وهو شيخ المؤرخين العرب ابن خلدون.
وتقوم عناصر المنهج التاريخي عند ابن خلدون على الملاحظات الموجزة التالية(23):

1- التاريخ علم
2- محتويات التاريخ والفكرة عنها
3- العناصر التي تجتمع لصنع التاريخ البشري
4- قوانين التاريخ
5- التاريخ علم فلسفي عند ابن خلدون(والفلسفة كل ما ليس له صفة دينية)
6- التاريخ عند ابن خلدون أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها ..
7- ابن خلدون يدحض الأساطير
8- ابن خلدون يضع القواعد اللازمة لمقارنة الحقيقة
9- النقد التاريخي عند ابن خلدون يبدو في:
   - تبدل الأحوال بتبدل الأيام.
   - وحدة النفسية الاجتماعية
   - ظروف الأقاليم الجغرافية
   - التاريخ الحضاري البشري

أما منهج البحث التاريخي عند ابن خلدون فيعتمد على :

- ملاحظة ظواهر الاجتماع لدى الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- تعقب هذه الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره
- تعقب أشباهها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً.
- التأمل في مختلف الظواهر للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية واستخلاص قانون تخضع له هذه الظواهر في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

ويرى ابن خلدون في مقدمته :

1- ان دراسة التاريخ ضرورية لمعرفة أحوال الأمم وتطور هذه الأحوال بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

2- يركز ابن خلدون على موضوع الاستبداد والبطش الذي يقوم به السلطان ضد شعبه وأثر ذلك في الشعب.

3- يشرح ابن خلدون كيف أن بعض السلاطين ينافسون رعيتهم في الكسب والتجارة . ويسخرون القوانين لخدمة مصالحهم الخاصة وتسلطهم على أموال الناس، وإطلاق يد الجند في الأموال العامة مما يرسخ الشعور بالظلم والإحساس بالحقد لدى الشعب .

4- يوضح ابن خلدون أن هذه العوامل الداخلية هي التي تؤدي إلى الخلل في أحوال الدولة أكثر من العوامل الخارجية .لأن المجتمع الذي يعاني من خلل داخلي لا يستطيع مجابهة عدو خارجي.

5- تمكن ابن خلدون من الربط الدقيق بين العوامل الاقتصادية سابقاً بذلك مفكرين أوروبيين بعدة قرون

6- استوعب ابن خلدون الإرهاصات السابقة في الفكر السياسي لدى الفارابي والماوردي والغزالي وإخوان الصفا والطرطوشي ومسكويه وسواهم. وصاغ من كل ذلك نظريته الناضجة في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

7- يتضح من قراءة مقدمة ابن خلدون فهمه لفلسفة التاريخ من خلال ثلاث نقاط أساسية:

- الأولى : أن التاريخ علم، وليس مجرد سرد أخبار بلا تدقيق ولا تمحيص.
- الثانية : أن هذا العلم ليس منفصلاً عن العلوم الأخرى كالسياسة والاقتصاد والعمران وعلوم الدين والأدب والفن.
- الثالثة : أن هذا العلم يخضع لقوانين تنتظم بموجبها أحوال الدول من قوة وضعف، ورفعة وانحلال.

وقد طبق ابن خلدون هذه النظرية على كتابه "العبر" في سرده للأحداث والتعليق عليها وتحليل نتائجها.

8- يرى ابن خلدون أن الظلم مؤذن بخراب العمران، ويعدد أشكال هذا الظلم من اعتداء على الناس، وتضييق على حرياتهم، وسلب أموالهم، وإضعاف فرص معاشهم وتحصيل رزقهم. والعمران يفسد بفساد العوامل التي تصنعه، والفساد يؤدي إلى الخراب.

9- إن الفساد يؤدي إلى هرم الدولة وشيخوختها. والهرم من الأمراض المزمنة التي قد تكون طبيعية مع عمر الدول والأفراد.

وقد تكون طارئة بفعل تفاقم الظلم والفساد والعدوان.

10- كان ابن خلدون على قدر كبير من الموضوعية والحياد العلمي في قراءته لأحداث التاريخ وتفسيرها رغم صعوبة الحياد في عصره.

واستمراراً لمنهج ابن خلدون وتطويراً له، ودخولاً في التفاصيل الدقيقة يأتي المقريزي في وقت غدت فيه القاهرة مركز العالم الإسلامي ثقافياً واقتصادياً وسياسياً أيام حكم المماليك .

وفي القاهرة ولد المقريزي لأسرة أصلها من بعلبك. ويذكر أنه كان سعيداً بولادته وعيشه في القاهرة (24) وقد ترك عدداً من الكتابات التاريخية الفائقة الأهمية مثل:

- السلوك لمعرفة دول الملوك
- اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا
- عقد جواهر الأسفاط في تاريخ مدينة الفسطاط.
- المواعظ والاعتبار (المعروف باسم خطط المقريزي).
- إغاثة الأمة بكشف الغمة.

وقد أفاد المقريزي من تجارب حياته العملية كاتباً في ديوان الانشاء وقاضياً وخطيباً . كما أفاد من اطلاعه الواسع على الكتابات التاريخية السابقة وبخاصة ابن خلدون.

ولعل أهم ما يميزه :

1- الموضوعية والأمانة التاريخية في السرد والعرض.(25)

2- وتنبثق عن الموضوعية صفة العفة والأخلاق الرفيعة والترفع عن الإساءة إلى الآخرين.

3- التدقيق والتقصي والتحقيق والتعليل (26)

4 - الدخول في التفاصيل الدقيقة : أحوال النيل – الحياة اليومية – الفساد – الرشوة – الغلاء – إغراق الأسواق بالنقود.

5- التركيز على الموضوع وعدم الاستطراد، وعدم الخروج على الموضوع .

6- الحيادية تجاه الحكام وعدم مداهنتهم والتقرب إليهم .

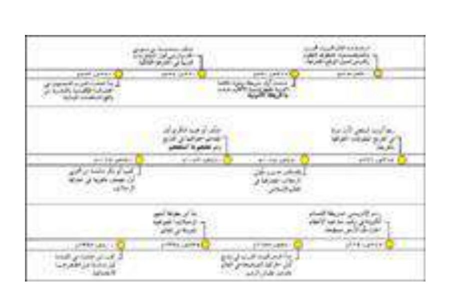
- التنبه إلى ربط حركة التاريخ بالعوامل الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة وانتقال أموال وتوزيع ثروات واقطاعات (27)

- رصد كثير من الظواهر الاجتماعية بدقة : شهادة الزور، الزنا، اللواط، الفسوق، الخمر.

والآن نخلص إلى بعض الملاحظات العامة والاستنتاجات التي تشمل مراحل تطور الكتابات التاريخية عند العرب:

1- ان الفكر العربي التاريخي اتجه أساساً إلى سرد الوقائع والأحداث من خلال الرصد أو الرواية المسندة، مستفيداً من علم الحديث.
2- إن كلمة "التاريخ" تعني في المعجم الغاية والوقت الذي ينتهي إليه كل شيء. وبذلك يتصل المعنى بحركة الزمن المرصودة وليس بالحكاية الاسطورية التي تشير إليها كلمة History باللغات الأوروبية.
3- الغاية النبيلة من كتابة التاريخ كعلم، ويندرج ذلك في إطار العلوم جميعاً كعمل يتقرب به صاحبه إلى الله وكأنه شكل من أشكال العبادة، وليس عملاً نفعياً يتوخى مصلحة آنية.
4- سرد الروايات القديمة بصورة حيادية وترك التعليق عليها وإلقاء مسؤولية روايتها على من أسندت إليه.
5- الاعتراف بالآخر وعرضه بموضوعية إلى حد بعيد وعدم إلغاء من يخالف الرأي أو الدين أو المذهب أو العرق.
6- يلاحظ في الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة تأثر المؤرخين العرب بالمدارس القومية أو الماركسية أو العلمانية أو الليبرالية أو البراغماتية . وهم في أغلب الأحيان متأثرون بالعوامل السياسية الضاغطة بصورة أو بأخرى.
7- بروز التخصصات الدقيقة في الدراسات التاريخية :
   - قديمة – حديثة
   - مشرقية – أندلسية
   - حضارات: مصر القديمة، بابل، بلاد الشام، المغرب
   - الحركات الإسلامية – الشعوبية
   - تاريخ الأدب
   - التاريخ الاجتماعي
   - علم الآثار
   - التراث غير المادي
8- محاولة إظهار جانب العبقرية لدى المؤرخين العرب، وبيان مدى تأثر المؤرخين الغربيين بهم.
9- اللجوء إلى صفحات التاريخ المشرقة هرباً من الإحباط المتلاحق الذي يعيشه العرب اليوم.

ـ الجغرافيا وعلومها ومؤلفاتها.



تواريخ مهمة في الجغرافيا

أطلق المسلمون على معارفهم الجغرافية أسماء عديدة؛ إذ إن المفهوم الجغرافي لم يكن تخصصًا مستقلاً في ذاته كالعلوم الأخرى. ومصنفاتهم في هذا المجال يمكن إدراجها تحت مسمى المصنفات الكوزموغرافية؛ وهي المصنفات التي تبحث في مظهر الكون وتركيبه العام وتشمل إلى جانب الجغرافيا علمي الفلك والجيولوجيا. لذا فإن الكتابات الجغرافية كانت تسمى وفق محتوياتها؛ فمن ذلك علم الأطوال والعروض وعلم تقويم البلدان إذا كانت ذات محتوى فلكي. وما غلب على محتواها وصْفُ المسالك وطرق المواصلات سميت علم البرود) جمع بريد) أو علم المسالك والممالك .واتخذت المصنفات الجغرافية التي تصف مجموع المناطق والبلدان اسم علم الأقاليم، وعلم عجائب البلدان، وعلم البلدان، وما قد تناولت المناخ جاءت تحت اسم علم الأنواء، وما قد تناولت الجغرافيا الفلكية سمِّيت علم الهيئة، واستخدموا مصطلح صورة الأرض قاصدين به مصطلح جغرافيا الحالي.

استخدم المسلمون كلمة جغرافيا في بادئ الأمر وفق استخدام اليونان لها، وهذا ما عناه ياقوت الحموي عندما قال ٖإن من قَصَد العمران من القدماء والفلاسفة والحكماء، ومنهم بطليموس، سموا كتبهم في ذلك الجغرافيا ...ومعناه صورة الأرض٠. وكان إخوان الصفا أول من استخدم مصطلح جغرافيا في رسائلهم وفسرت على أنها صورة الأرض.

لم تقتصر كتابات المسلمين في الجغرافيا على مجالات محددة، بل امتدت لتشمل مجالات عديدة متنوعة. وبدأت هذه الكتابات معتمدة على المعرفة الجغرافية القديمة في الجزيرة العربية بالإضافة إلى ما كان لدى الشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام. كما اعتمدت على الترجمة من مصادر مختلفة يونانية وفارسية وهندية. وصحح المسلمون كثيرًا من الأخطاء وأضافوا كثيرًا من الملاحظات على الكتب المترجمة. وكان من أهم المسائل التي تناولتها مصنفاتهم في هذا الحقل الجغرافيا الفلكية والإقليمية والبشرية والاقتصادية.

الجغرافيا الفلكية .اهتم المسلمون بالجغرافيا الفلكية التي صارت أساسًا للجغرافيا العربية، وهي فرع من الجغرافيا يقوم في أغلبه على الأساليب الرياضية، وذلك لاتصال الجغرافيا الفلكية بمواقيت الصلاة والصيام والحج .واستقى العلماء المسلمون هذا النوع من الجغرافيا من المذهب الهندي في الجغرافيا الرياضية



الجغرافيا الفلكية يندرج تحتها ما يعرف بكتب الأزياج مثل زيج الإيلخاني للطوسي. والصورة لصفحتين من الكتاب .

عن طريق بلاد فارس، وتمثل ذلك في كتاب السندهند) السدهانتا)، وكذلك من المذهب اليوناني عن طريق السريان، وتمثل ذلك في كتاب المجسطي لبطليموس .ومن الذين تأثروا بكتاب بطليموس ونهجوا النهج الفلكي في مؤلفاتهم الجغرافية محمد بن موسى الخوارزمي، لكنه تفرّد ببحوث مستقلة لم يقلّد فيها أحدًا، وقام بتلخيص كتاب السندهند وإصلاح أزياج (الجداول الفلكية) بطليموس. ويعدّ كتاب الخوارزمي صورة الأرض أشهر مؤلفات الجغرافيا الفلكية وأكثرها أثرًا في الجغرافيين الذين أتوا من بعده. وهناك اختلاف كبير بينه وبين كتاب بطليموس على الرغم من أنه أفاد من معلوماته كثيرًا. وقد خالف الخوارزمي في تقسيمه للأقاليم تقسيم بطليموس .فبينما قسم بطليموس العالم إلى إحدى وعشرين منطقة، قسمه الخوارزمي إلى سبعة أقاليم حسب درجات العرض. وهو أول من فعل هذا، فبدأ هذه الأقاليم من الجنوب إلى الشمال .وهذا التقسيم هو الذي عرفه العرب قبل أن يعرفوا بطليموس. كذلك وزع الخوارزمي الأنهار والجبال والبحار والعمران بطريقة مخالفة لما ورد عند بطليموس. فقد ذكرها الخوارزمي منفردة وفق كل إقليم، بينما وزعها بطليموس وفق المناطق. كما أنه عرض المادة الجغرافية في قوائم. واختلف مع بطليموس في تحديد كثير من الأبعاد الجغرافية للأماكن. والقوائم الفلكية في كتاب صورة الأرض أشبه بالأزياج .فقد كان يذكر اسم الموضع ثم خط الطول الذي يقع عليه، ثم خط العرض مبتدئًا بالمدن فالجبال فالبحار فالجزر ثم العيون والأنهار. ويبدأ المواضع وفق بُعدها التدريجي على أساس موقعها من خط الزوال الذي يمر بجزر السعادة عند ساحل غرب إفريقيا.

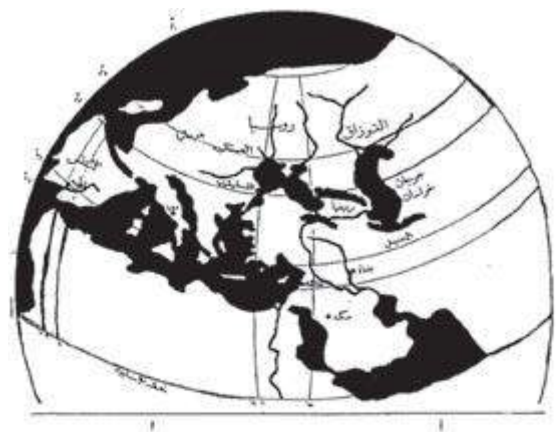
وممن كتب في هذا الفرع من الجغرافيا الفيلسوف الكندي، وجاءت آراؤه هذه في كتابه رسم المعمور من الأرض .وله في الجغرافيا الفلكية وعلم الفلك ما يقرب من 25 مؤلفًا بين كتاب ورسالة.

يندرج تحت هذا الفرع ما يعرف أيضًا بكتب الأزياج مثل زيج الإيلخاني للطوسي؛ الزيج الصابي للبتاني، والزيج الحاكمي الكبير لابن يونس الصدفي، والمجسطي لأبي الوفاء البوزجاني، ومفتاح علم الهيئة للبيروني. ومن الكتب المهمة في حقل الجغرافيا الفلكية كتاب سهراب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، ويورد فيه كيفية رسم خارطة الكرة الأرضية، واستخراج الطول والعرض للمواقع الجغرافية. وهو متأثر بكتاب صورة الأرض للخوارزمي، فهو يتناول المدن فالبحار فالجزر فالجبال ثم المنابع والأنهار كلا منها على انفراد داخل الأقاليم السبعة في قوائم مماثلة لما فعله الخوارزمي.

محيط الأرض ومساحتها. اهتم العلماء المسلمون في حقل الجغرافيا الفلكية بقياس محيط الكرة الأرضية. ذلك أن المقاييس التي أخذوها عن الهنود والإغريق لم تكن مقنعة لهم؛ خاصة بعد ما تقدمت عندهم وسائل القياس. وقام العلماء المسلمون على عهد المأمون بأمر منه بقياس طول درجة من خط نصف النهار في مكانين صحراويين أحدهما في تَدْمر والآخر في سنجار، وتوصلوا إلى أن طول الدرجة يبلغ 56 ميلاً؛ أي أن المحيط حوالي 20,400 ميل.

وردت في كتابات الجغرافيين العرب محاولات لتقدير مساحة الأرض المعمورة والبحار التي بينها والذي كان يسمى الرُّبع المعمور .وممن تناول ذلك البيروني في القانون المسعودي؛ فقد ذكر مساحة الأقاليم السبعة المعروفة آنذاك، ونقلها عنه أبو الفدا في تقويم البلدان بعد أن شرح الطرق التي توصل بها البيروني لهذه المساحات. كما فعل ذلك أيضًا ياقوت الحموي في معجم البلدان حيث أورد تقديرات لمساحة الأرض نقلاً عمن سبقه من الجغرافيين.

خطوط الطول والعرض. استخدم الجغرافيون المسلمون خطوط الطول والعرض لتعيين المواقع الجغرافية للمناطق التي يريدون تحديدها؛ سواءً بالنسبة إلى القبلة في مكة، أو أي بقعة أخرى. وقد توصلوا إلى تحديد عرض الأماكن عن طريق قياس ارتفاع النجم القطبي أو الشمس. وقد كان من النتائج المباشرة لجهودهم في تحديد خطوط العرض أن تمكنوا من إنشاء المزاول الشمسية لضبط الزمن.

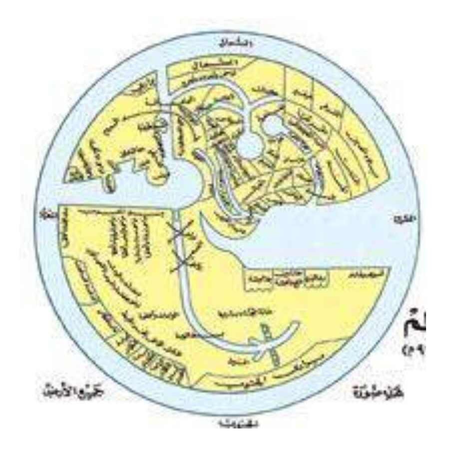


الخريطة المأمونية رسمها الجغرافيون العرب للخليفة المأمون وبينوا عليها الجزء المعمور من الأرض .

واستطاع الجغرافيون العرب عن طريق تحديدهم خطوط الطول والعرض أن يرسموا خارطة للأرض في عهد المأمون عرفت باسم الخريطة المأمونية، وقد قسم العالم فيها إلى سبعة أقاليم وفق خطوط الطول ودوائر العرض. وفيها صور للأفلاك والنجوم والبر والبحر والمدن.

الجغرافيا الإقليمية .وتسمى الجغرافيا البلدانية؛ وتتمثل في المصنفات التي اتخذت المنهج الوصفي أساسًا لها، وكذلك المعاجم الجغرافية وأحيانًا كتب الرحلات الجغرافية التي يغلب على تناولها المنهج الوصفي. وقد اتبع الجغرافيون المسلمون في تناولهم للجغرافيا البلدانية أسلوب المشاهدة والزيارات الميدانية. فقد زار معظمهم الأقاليم والبلدان التي تحدثوا عنها، لاسيما الرعيل الأول منهم من أمثال اليعقوبي، وابن حوقل، والمسعودي، والإدريسي وغيرهم. وقد تناولوا في مصنفاتهم الجغرافية هذه أوصافًا للأقاليم والمدن والشعوب وأديانها وعاداتها ودراسة للمسالك وطرق المواصلات التي تربط بين المدن المختلفة والأبعاد بينها وما يفصل بينها من أنهار وبحار وبحيرات وجبال. ومن نماذج هذه المصنفات كُتُب :المسالك والممالك لابن خرداذبه؛ كتاب الأقاليم لهشام الكلبي؛ جزيرة العرب للأصمعي؛ البلدان لليعقوبي؛ صفة جزيرة العرب للهمداني؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي؛ الأقاليم للإصطخري؛ صورة الأرض لابن حوقل؛ تقويم البلدان لأبي الفدا عماد الدين بن إسماعيل وغيرهم.

مصنفات إقليمية. خضعت المؤلفات البلدانية في بادئ الأمر لنمط التأليف الذي كان سائدًا في كل مجالات المعرفة آنذاك. فلم تكن الكتابة متخصصة، ولم يكن الكُتَّاب متخصصين؛ لذا كان ينحو وصفهم إلى الشمول بدلاً عن العرض المفصل لتلك المناطق من المعمورة التي كانت تبعد عنهم. لذا فقد تركوا لنا آدابًا جغرافية على درجة كبيرة من الدقة عن قلب العالم الإسلامي، لكن تقلّ هذه الدقة وتضعف كلما ابتعدنا إلى أطرافه في آسيا وإفريقيا.



خريطة العالم لابن حوقل (ت بعد (367هـ، 977م.)

وبحلول منتصف القرن الرابع الهجري تنوعت كتابات الجغرافيين واهتموا بالمعالم الطبيعية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية للشعوب التي يكتبون عنها. وأفضل المصنفات التي تمثل هذه الحقبة هي مصنفات الإصطخري وابن حوقل والمقدسي وهي على التوالي :الأقاليم؛ صورة الأرض؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.



صورة العالم للإصطخري
(ت. نحو سنة 300هـ، 912م .)

بدأت المصنفات الإقليمية أول ما بدأت بتغطية وصفية لجزيرة العرب شملت مدنها وبلدانها المشهورة، والبوادي والصحاري، ومضارب العرب. ومن أشهر الذين كتبوا عن جزيرة العرب هشام الكلبي وله في ذلك كتاب الأقاليم؛ وكتاب البلدان الصغيرة؛ وكتاب البلدان الكبيرة .وكذلك الأصمعي وله كتاب جزيرة العرب، والهمداني وله صفة جزيرة العرب .أما المعاجم فقد وردت فيها جملة مسهبة من المعلومات عن المدن والمظاهر الطبيعية، ومن هذه المعاجم معجم البلدان لياقوت الحموي، ومعجم ما استعجم لأبي عبيد البكري وغيرهما. وتعد المعاجم الجغرافية عملاً فريدًا استأثر به المسلمون، ولم تسبقهم إليه أمة من الأمم .أما النقلة في التأليف من الكتب الإقليمية، التي اقتصرت على جزيرة العرب إلى العالمية، فقد كانت على يد الخوارزمي في كتابه صورة الأرض .وقد ظهرت في الجغرافيا الإقليمية مؤلفات تحمل عنوان المسالك والممالك .وكان أول من صنّف فيها جعفر بن أحمد المروزي (ت 274هـ، 887م)، وابن خرداذبه، والسرخسي (ت 286هـ،899 م)، والإصطخري، والتاريخي محمد الوراق (ت 363هـ، 973م)، والمهلبي (ت 368هـ،978 م)، والبكري (487هـ، 1094م). ومعظم هذه المؤلفات استهدفت خدمة أغراض الإداريين والحكام والتجار وعمال الدواوين لتبصرهم بالأمصار الإسلامية والطرق إليها.

ظل الجغرافيون الأوائل يقسّمون الأقاليم وفقًا لما توارثوه عن الفرس واليونان، إلى أن اتخذت الجغرافيا الإقليمية مفهومًا جديدًا لفكرة الإقليم بدءًا من القرن الرابع الهجري على يد من أطلق عليهم الجغرافيون الإقليميون ويمثلهم أبو زيد البلخي (ت 322هـ، 934م) والإصطخري، وابن حوقل، والمقدسي. ولم يتفق الجغرافيون المسلمون في تلك الحقبة على نمط واحد لتقسيم الأقاليم؛ فقسمها الإصطخري أحيانًا وفقًا لطبيعة الإقليم وأخرى وفقًا للأقوام ولغاتهم وثالثة لنوع الحكم. وقسم الأقاليم الإسلامية المعروفة على عهده إلى عشرين إقليمًا هي: ديار العرب؛ ويضم شبه الجزيرة العربية وبادية الشام. بحر فارس؛ ويضم الخليج العربي والبحر الأحمر. ديار المغرب؛ ويضم بلاد الأندلس وأقطار المغرب العربي والصحراء الكبرى. ديار مصر؛ وتضم مصر وبلاد البجة (شرق السودان). أرض الشام. بحر الروم؛ ويضم شرقي البحر الأبيض المتوسط وبحر مرمرة وجزره. أرض الجزيرة؛ ويضم منطقة الجزيرة في العراق وبعضًا من البادية الشمالية. العراق؛ ويمتد من تكريت إلى عبدان وما بين النهرين. خوزستان .بلاد فارس. بلاد كرمان ويضم القسم الجنوبي الشرقي من إيران وبلاد السند. أرمينيا والران وأذربيجان. إقليم الجبال ويضم بلاد كردستان. الديلم؛ ويضم البلاد الواقعة على سهول بحر الخزر الجنوبية. بحر الخزر؛ ويضم منطقة بحر الخزر. مفازة خراسان؛ ويضم منطقة صحراء شرقي إيران. سجستان ويضم جزءًا من أفغانستان. خراسان؛ ويضم شمال غرب أفغانستان وشمال شرق إيران. ما وراء النهر؛ ويضم منطقة سهول نهري سيحون وجيحون.

هناك تشابه كبير واضح بين تقسيم ابن حوقل والإصطخري للأقاليم، إلا أن ابن حوقل كان كثيرًا ما يلتزم في بعض تقسيماته الإقليمية بالعامل السياسي والإداري أكثر من الجانب الطبيعي الذي انتهجه الإصطخري. وقسّم ابن حوقل العالم الإسلامي إلى 22 إقليمًا وهي نفس الأقاليم التي ذكرها الإصطخري مع زيادات طفيفة كأن يذكر مع الديلم طبرستان أو مع مفازة خراسان يضيف فارس. أما الإقليمان الجديدان لديه فهما الأندلس وصقلية.

أما المقدسي فقد قسّم الأقاليم في الممالك الإسلامية إلى قسمين :أقاليم العرب وأقاليم العجم . فجاءت سبعة منها تحت الأقاليم العربية وثمانية تحت الأقاليم العجمية. وقسّم الأقاليم إلى أقسام إدارية أطلق على الواحد منها اسم كُور وقسّم الكور إلى رساتيق، وميّز بين العواصم والقصبات والمدن الثانوية.

ثم أتت حقبة رجعت فيها التقسيمات الأولى للأقاليم إلى سبعة أقاليم فلكية وفق المنهج التلقليدي لليونان، وكان من أبرز من أخذ بهذا الأسلوب الشريف الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وعلي بن موسى المغربي في كتاب الجغرافيا، والقزويني في آثار البلاد وأخبار العباد .إلا أن الجغرافي الإقليمي أبو الفدا (ت732هـ، 1331م) قد جمع بين المنهج اليوناني الذي يمثله بطليموس، والتقسيم العربي الذي يمثله ابن حوقل، وقام بتقسيم الأرض المأهولة آنذاك إلى 28 إقليمًا.

المعاجم والرحلات. كانت المعاجم الجغرافية سمة من سمات التأليف الجغرافي لدى المسلمين في ذلك العهد. وهي تسير على نمط المعاجم الأخرى التي ألّفت في تخصصات أخرى مثل معاجم علوم الحيوان والنبات واللغة وغيرها. ويعد تأليف المعاجم الجغرافية علمًا انفرد به المسلمون ولم يسبقهم إليه أحد. إذ إن أول المعاجم الجغرافية التي ظهرت في غير العربية كان في القرن 10هـ، 16م في أوروبا وهو معجم أوتيليوس. وكان أبو عبيد البكري أوّل من صنّف معجماً جغرافياً وفق الترتيب الألفبائي الأندلسي؛ وأطلق على معجمه معجم ما استعجم .ويُعدّ هذا المعجم مرحلة انتقالية من اللغة إلى الجغرافيا تناول فيه تحديد الأماكن التي ورد ذكرها في الأحاديث والتواريخ والمنازل والأشعار. وكان مما جعل البكري يقدم على هذا العمل، شيوع اللحن والتصحيف في أسماء الأماكن بين الناس، فأراد تصحيح ما وقع فيه بعض اللغويين من أخطاء كالأصمعي وأبي عبيدة وخلافهما. واحتوى معجمه على 3,590 مادة بها نحو 5,200 موضوع تقع في 784 بابًا.

يُعدّ معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626هـ، 1229م) من أفضل النماذج للمعاجم الجغرافية. واعتمد في مصادره على مؤلفات من تقدمه من الجغرافيين واللغويين والفلاسفة والحكماء من المسلمين وغيرهم. ورتب ياقوت مداخل هذا المعجم ترتيبًا ألفبائياً مع ضبط الاسم وبيان اشتقاقه، وموقعه وتاريخه، والمسافة بينه وبين أقرب بلد له، وتاريخ فتح المسلمين له، وعادات أهل الموقع وتقاليدهم، وأسماء من له علاقة بالموضع من الصحابة والتابعين. وقسّم المعجم إلى 28 بابًا على عدد حروف العربية، وصدره بمقدمة تمهيدية ذكر فيها صورة الأرض وهيئتها وأقاليمها، وأورد في المقدمة ثبتًا بالمصطلحات التي يتكرر ذكرها في المعجم كالفرسخ والميل والكورة.

يُعدّ معجم الروض المِعْطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبدالمنعم الصنهاجي الحميري من المصنفات القيمة.اعتمد في معظمه على المصادر المغربية والأندلسية؛ فقد نقل كثيرًا من مادة هذا المعجم من الإدريسي والبكري وكذلك من اليعقوبي والمسعودي وغيرهم. واقتصر المعجم في مادته على المواضع المشهورة جدًا، أو تلك التي ارتبط اسمها بوقائع أو أخبار اشتهرت عنها. وعلى الرغم من أنه من المغرب العربي (ولد في سبتة)، إلا أنه رتّب مداخل معجمه وفق الترتيب الألفبائي المعمول به في المشرق العربي. وقد أفاض في هذا المعجم من ذكر الأماكن في بلاد المغرب والأندلس، وجاء اهتمامه ببلاد المشرق في الدرجة الثانية. واستكثر أيضًا من ذكر الأحداث والتاريخ والأخبار.

تعد كتب الرحلات من أفضل مصادر الجغرافيا الإقليمية في عصر ازدهارها، وممّا يسر هذه الرحلات حث الإسلام على السياحة في الأرض، والوحدة الدينية التي كانت تربط البقعة الإسلامية من الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا واستتباب الأمن فيها، ثم رحلات الحجيج من وإلى بيت الله في مكة المكرمة، ومسجد رسوله ³ في المدينة المنورة وكذلك الخروج في طلب العلم، والرحلات التجارية.

كان أول من صنف في أدب جغرافيا الرحلات أبوبكر محمد بن العربي (ت 543هـ، 1148م) وله في ذلك كتاب ترتيب الرحلات .ومن أشهر الرحالة المسلمين ابن جبير، وابن بطوطة، وابن حوقل، والمسعودي.

كانت أولى الرحلات التي وصلت إلينا هي رحلة ناصر خَسْرو (ت بعد سنة 455هـ،1063 م). وقد عاصر الدولتين الغزنوية والسلجوقية. وقد بدأ رحلته من مرو في خراسان مرورًا بلبنان وفلسطين ومصر ومكة، فالبصرة فبلخ. وكان الباعث لرحلته دينياً. فقد كان ينوي بها الحج وزيارة الأماكن التي عاش فيها الرسول ³ وأصحابه؛ مثل البقعة التي بايع فيها المؤمنون الرسول ³ تحت الشجرة. واستغرقت رحلته سبع سنوات. وقد وصف كل المناطق التي زارها وسكانها وملابسهم ومشاربهم ومآكلهم .

كان الباعث لرحلات ابن جبير أيضًا دينياً، فقد قام بثلاث رحلات كانت الأولى عام578 هـ، 1182م واستغرقت ما يزيد على السنتين، بدأها من غرناطة وزار فيها سبتة في المغرب ومصر والحجاز والعراق وبلاد الشام وصقلية، وأُطْلِق على هذه الرحلة اسم رحلة ابن جبير أو رحلة الكناني لأنه كان ينتسب إلى كنانة. وكان دقيقًا في تسجيله الحوادث والتأريخ لها حتى إنه كان يذكر الشهر واليوم والساعة في أغلب الأحيان. أما الرحلتان الأخريان فلم يسجل ابن جبير أخبارهما في كتاب.

لعل أشهر الرحلات الجغرافية التي تكاد تطغى على ما سواها من الرحلات الأخرى، سواءً في الشرق أم الغرب، رحلات ابن بطوطة (ت 779هـ، 1377م) وكان الدافع لرحلاته دينياً كذلك وهو أداء فريضة الحج. وقد بدأ هذه الرحلات الثلاث من مدينة طنجة (عام725 هـ، 1325م)، استمرت أولاها نحو 25 عامًا زار ووصف فيها الساحل الشمالي لإفريقيا ومصر والشام والحجاز والعراق وعُمان والبحرين وخراسان وأفغانستان والهند والصين وسومطرة وجزيرة

سرنديب (سريلانكا الآن) وعاد إلى فاس عام 750هـ، 1349م. أما الرحلة الثانية فقد توجه فيها صوب الشمال نحو بلاد الأندلس وأقام بغرناطة ثم عاد إلى المغرب. وفي الرحلة الثالثة خرج عام 753هـ، 1353م إلى وسط إفريقيا فزار الممالك الإسلامية فيها كمملكة مالي وغانا وعاد عام 754هـ، 1354م. وقد قام بتدوين مشاهدات ابن بطوطة محمد بن جزي الكلبي بإملاء من ابن بطوطة، وسمّى السّفر الذي كتبه تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

الجغرافيا البشرية والاقتصادية .أولى الجغرافيون المسلمون عناية كبيرة للجوانب البشرية؛ فلا نجد فرعًا من فروع الجغرافيا البشرية الحديثة إلا وتطرقوا إليه. على سبيل المثال يتناول المسعودي في التنبيه والإشراف كثيرًا من الجوانب في الجغرافيا البشرية ويذكر أحوال العمران وهو العلم الذي أسسه ورتب قواعده ابن خلدون (ت 808هـ، 1406م.)

الجغرافيا البشرية. تناولت المصنفات الجغرافية الجانب البشري واهتمت به. وأوضح الأمثلة على ذلك كتابات المسعودي الذي ينهج نهجًا جديدًا في تناوله للجغرافيا. فقد طاف معظم بلاد العالم المعروف آنذاك، ولم يكن طوافه ذلك للنزهة أو كسب العيش، بل لمشاهدة معالم البلاد ومعرفة أحوال أهلها من عادات وتقاليد وأخلاق ومعايش وزراعة وسياسة. كما وصف أثر البيئة الطبيعية وصوَّر أخلاق البشر. وتناولُ المسعودي للجغرافيا البشرية مشوب بمعلومات تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية. وفي مروج الذهب يكاد يخصص الشطر الأكبر من القسم الأول من هذه الموسوعة الجغرافية لوصف عادات الأمم ومعتقداتها ومذاهبها وتاريخها ومصادر أرزاقها من صناعة وزراعة وتجارة .ويذكر أيضًا أثر المناخ في ألوان البشر وفي النشاط الجسماني والذكاء.

وفي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم أفاض المقدسي في ذكر المسافات، وطرق المواصلات، واللغات واللهجات، والمكاييل والأوزان، والمناخ، والزراعة، وطوائف الناس وغذائهم وشرابهم، وأخلاقهم وعاداتهم، ومذاهبهم ومعاملاتهم التجارية. أما ابن خلدون فكان من أهم من كتبوا في الجغرافيا البشرية خاصة ما يُطلق عليه الآن الجغرافيا الاجتماعية. فقد تناول في المقدمة كثيرًا من المعلومات عن عادات الشعوب ومساكنهم وبيئاتهم وطعامهم وتقاليدهم وأزيائهم وتأثير البيئة في ألوانهم وأخلاقهم وسلوكهم، وكذلك أثر الإقليم والتربة والمناخ. وتكلّم عن خصائص العمران وذكر منها الاستقرار، والتوسع في المأكل والملبس والمسكن والترف، واستجادة الصنعة للتباهي بها، وكذلك قيام نظام للدولة وانتشار العلم.

أفاضت كتب الرحلات الجغرافية أيضًا في الجانب البشري. فابن بطوطة يهتم بطبائع الناس وعاداتهم في كل بلد يتوقف فيه. فعندما وصل الهند مثلاً تكلّم عن معظم عادات الهندوس وعن إحراق المرأة الهندوسية نفسها بعد وفاة زوجها ,فترتدي أحسن ما لديها من الثياب وتمتطي صهوة جوادها وتضحك وتمرح حتى تصل إلى مكان الحفل، وهناك يدثرها أحد الكهنة بثوب خشن من القطن ثم يلقي عليه كمية كبيرة من الزيت، ثم يتقدم الكهنة نحوها فيشعلون النار في رأسها وكتفها ووسطها، وسرعان ما تلتهمها النيران المتوهجة التي كان يذكيها الحاضرون بمزيد من الوقود والحطب لتزداد اشتعالاً. وفي الصين يتكلم عن ملبس القوم ومآكلهم ومشاربهم واستخدامهم للعملات الورقية في التداول بدلاً عن العملات الفضية أو الذهبية. ونجده يشيد بتمسك السودانيين (السودان الغربي) بدينهم وحرصهم على إقامة الشعائر الخمس. ويتضح من مجمل مشاهداته أنه اهتم بتسجيل المظاهر الاجتماعية ووصف العادات والتقاليد وطبائع الأقوام وأديانهم

وغيرها فكتاباته في هذا الجانب أقرب إلى علم الجغرافيا الاجتماعية منها إلى التاريخ أو الجغرافيا الطبيعية.

جغرافيا المدن. تناولت مصنفات المسلمين أيضًا جغرافيا المدن .فقد اهتمت هذه المصنفات بذكر أسماء الأمصار والمدن والبلاد وضبط هذه الأسماء واشتقاقاتها إن كانت عربية. وأفضل المصنفات التي اهتمت بهذا الجانب هي المعاجم الجغرافية مثل معجم ما استعجم؛ معجم البلدان؛ تقويم البلدان .ووضع بعضهم مؤلفات اقتصرها على أسماء الأماكن المتشابهة في الاسم، مثل كتاب المشترك وَضْعًا والمفترق صقْعًا لياقوت الحموي. وتحدثوا عن أسس اختيار المواضع التي تقام عليها المدن من حيث توافر المياه وملاءمة الهواء وارتفاع المكان. ولابن خلدون آراء في سبب نشأة المدن، وأفضل البقاع لإقامة هذه المدن، كما يتحدث عن أسباب خرابها فيقول ٍسبب خراب المدن قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن... وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن، ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم. فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار، ولم تكن في وسط الأمم فيعمرها الناس.٠

وتناول إخوان الصفا أيضًا جغرافية المدن، وسكانها وطبائعهم، وأعمالهم، وعاداتهم، ودوابهم. فيقولون في الرسالة الخامسة وهي رسالة في الجغرافيا ٍ إن في كل إقليم من الأقاليم السبعة ألوفًا من المدن تزيد وتنقص. وفي كل مدينة أمم من الناس مختلفة ألسنتهم، وألوانهم، وطباعهم، وآدابهم، ومذاهبهم، وأعمالهم وصنائعهم. وعاداتهم ولا يشبه بعضهم بعضًا. وهكذا حكم حيوانها ومعادنها مختلفة الشكل والطعم واللون والرائحة. وسبب ذلك اختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها.٠

تناول القزويني في كتابه المواعظ والاعتبار عددًا من المدن التي تستجلب منها بضائع معينة أو اشتهرت بصنعة خاصة أو انفردت بصفة غلبت عليها من ذلك: مَنْدل مدينة بأرض الهند يكثر بها العود حتى يقال للعود المندل، وسيرجان قصبة كرمان كثيرة العلم، وسمهر قرية بالحبشة بها صناعة الرِّماح السَّمهْرية.

ويقتصر كتاب الإفادة لعبداللطيف البغدادي (ت 629هـ، 1232م) على مدن مصر وسكانها ونباتها وحيوانها. ويصف ما بها من آثار، وينحي باللائمة على الذين شوَّهوها أو خربوها. ويتحدث عن الأبنية وأنواع الأطعمة والأشربة.

الجغرافيا الاقتصادية. زخرت المصنفات الجغرافية بالكثير من المعلومات الاقتصادية مثل طرق كسب العيش عند الأمم والزراعة، والتجارة، وأنواع المعاملات والمقايضات، والأوزان والمكاييل، وأنواع العملات المتداولة وطرق النقل والمواصلات.

تناول الجغرافيون العرب والمسلمون جوانب من الجغرافيا التجارية، وأنواع التجارة والبيع والشراء والطرق التي تسلكها قوافل التجارة براً أو بحراً. وأهم المدن التجارية في المشرق الإسلامي والمغرب وكذلك الأسواق كسوق عدن وسواكن على بحر القلزم (البحر الأحمر)، وصحار وعُمان ودبي في الخليج العربي، وحضرموت وعدن. وذكروا أن بعضًا من هذه

الأسواق تخصصت في تجارة بعينها، كعدن وحضرموت اللتين اشتهرتا بالاتجار في الطّيب والنعال. وكان أقوام من الهند وبلاد فارس واليهود والنصارى يعملون إلى جانب العرب في التجارة من وإلى بلاد العرب. وذكر الجغرافيون العملات التي تعامل بها الناس في الدولة الإسلامية، فالنقود في الصين كانت عملات ورقية. واستخدم العرب في داخل الجزيرة العربية الدينار المضروب من الذهب والدرهم الفضي. واستخدم أهل بخارى الدرهم لكنهم لم يتعاملوا بالدينار. واستخدم أهل الجزيرة العربية من المكاييل الصاع والمد. واستخدم أهل الشام القفيز والويبة والمكوك والكيلجة؛ والكيلجة نحو صاع ونصف الصاع، والمكوك ثلاث كيالج، والويبة مكوكان، والقفيز أربع ويبات. كما استخدم المسلمون الدانق والقيراط والمثقال والأوقية والرطل والقنطار والقسط ويساوي مُدَّيْن، والفرق يساوي ستة أقساط. ومن مقاييس المسافات ذكر الجغرافيون على سبيل المثال: الفرسخ والميل والمرحلة والذراع والشِّبْر والإصبع والغلوة وهي رمية السهم.

تناول الجغرافيون المسلمون أهم الصناعات والحرف المختلفة في أرجاء الدولة الإسلامية. وذكروا من ذلك صناعة الثياب وصباغتها والمواد التي تصنع منها سواء كانت من الصوف أو الوبر أو القطن أو الكتان أو الحرير، وكل منطقة كانت تشتهر بحرفة أو صناعة فقد كانت دمياط وتنيس في مصر أكبر مركزين لصناعة النسيج، وكانت مدينة كازرون في بلاد فارس مشهورة بصناعة نسيج الكتان، ومرو ونيسابور اشتهرتا بصناعة ثياب القطن، وعبدان بصناعة الحُصُر. وذكر ابن الوزان في كتابه وصف إفريقيا، أن بمدينة فاس 120 موضعًا خاصاً بصناعة النسيج يعمل فيها نحو 20,000 عامل.

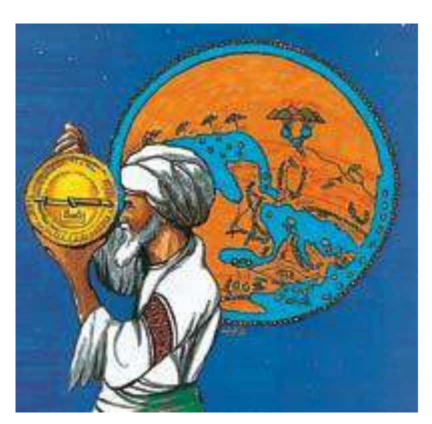
الخرائط .بعدما اتسعت معرفة المسلمين بأقسام الأرض وصفاتها بسبب الفتوح خلال القرن الأول الهجري، اهتموا برسم الخرائط وقراءتها .واستخدم الجغرافيون العرب والمسلمون أسماء كثيرة لتدل على معنى الخريطة، من ذلك؛ الرسم؛ الصورة؛ لوح الترسيم؛ لوح الرسم؛ وكذلك الجغرافيا التي لم تكن تعني سوى الخريطة. أما لفظ خريطة فلم يرد عن العرب قبل العصر العباسي بالمعنى المراد به الآن. وقد يكون أصله مُعرَّبًا عن لفظ Carta أو مشتقاً من كلمة خَرَت في اللغة العربية، ومنها خرت الأرض؛ أي جال فيها، وعالِم خِرِّيت؛ أي جوال ماهر.



المعلومات الجغرافية أول من ربطها بالخريطة أبوزيد البلخي؛ فقد جعل المصورات أساسًا لإيضاح الجغرافيا، والصورة توضح ديار العرب كما رسمها البلخي .

اعتمدت الخرائط العربية في المرحلة الأولى على الحسابات الفلكية متأثرة بالنظريات الرومانية والإغريقية؛ فقد صنع جغرافيو العرب صورة للأقاليم (خريطة (عرفت باسم الخريطة المأمونية . ظهرت عليها المناطق والبلدان موقعة بأسمائها العربية للقسم المعمور من الأرض وفق خطوط الطول ودوائر العرض. وكانت هذه الخريطة ملونة كما يتحدث عنها المسعودي في التنبيه والإشراف :رأيت هذه الأقاليم مصوّرة في غير كتاب بأنواع الأصباغ. وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا مارينوس، وتفسير جغرافيا قطع الأرض. وهي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون، واجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره، صوّر فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبرّه وبحره، عامره وغامره، ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك؛ وهي أحسن مما تقدم من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما.

إلا أننا نجد نكوصًا عن هذه الطريقة في رسم الخرائط في المرحلة التي تلت هذه الخريطة. حيث بدأ نمط آخر من الخرائط ارتبط بالمصنفات الإقليمية التي رسمها الجغرافيون الإقليميون الذين استحدثوا منهجًا جديدًا في رسم خرائط الأرض، ومن بين هؤلاء أبو زيد البلخي والإصطخري وابن حوقل والمقدسي. فبينما استندت الخريطة المأمونية وخرائط الحقبة السابقة الأسلوب الفلكي الرياضي، مع الاستعانة بخطوط الطول والعرض في تحديد المواقع والأنهار والبحار، نجد أن الخرائط الإقليمية لم تعر الدقة العلمية انتباهًا واقتصر اهتمامها على تمثيل الحقائق العلمية الجغرافية بالمصورات.



الخريطة عرفت عند المسلمين باسم لوح الترسيم، والصورة والرسم وكذلك الجغرافيا .

أعطى المستشرق الألماني كونراد مولر اهتمامًا خاصاً بجمع الخرائط الإقليمية العربية التي بلغ عددها 275 خريطة ونشرها في مجلد خاص تحت عنوان الخرائط العربية، وأطلق عليها أطلس الإسلام ذلك لأنها تحوي 21 خارطة وتعرض المعلومات فيها وفق نظام واحد يستهل بخارطة العالم المستديرة، تليها خريطة جزيرة العرب، وبحر فارس والشام، ومصر، وبحر الروم، ثم 14 خريطة أخرى تصوّر الأجزاء الوسطى والشرقية من العالم الإسلامي. ويعد أبوزيد البلخي أول من ربط المعلومات الجغرافية بالخريطة وجعل المصورات أساسًا للإيضاح الجغرافي. وقد تبع البلخيّ في ذلك كل من الإصطخري وابن حوقل. ومن ناحية عامة تكاد تشترك جميع خرائط الجغرافيين الإقليميين في صفاتها العامة من حيث الشكل الهندسي التخطيطي الذي لا يركز على الشكل الحقيقي للبلاد؛ فغالبًا ما تصور البلاد على هيئة مربع أو مستطيل، وتكون الجبال والأنهار والبحار خطوطًا مستقيمة أو أقواسًا ودوائر. أما البحار الداخلية فتأتي على هيئة دوائر كاملة. وكانت كل خريطة مستقلة تمامًا عن الأخرى بحيث لا يمكن جمعها لتكوين خريطة واحدة مثل خرائط الإدريسي.

يعد عمل الإدريسي بداية المرحلة الثالثة التي وصلت ما انقطع من المرحلة الأولى . فقد اختلف ما أعده من خرائط عن الخرائط التي أعدها الجغرافيون الإقليميون؛ إذ إن منهجه الإقليمي يختلف عمن تقدمه من



خريطة العالم للإدريسي كما كونها مولر من الخرائط الجزئية التي عملها الإدريسي (548هـ، 1153م .)

الإقليميين.

والتزم الإدريسي في خرائطه على مقياس الرسم، وتحديد مواضع خطوط الطول، ودوائر العرض، والتزم بالشكل الواقعي للمنطقة الجغرافية التي يعنيها. وقد ضمّن كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أو ما يطلق عليه أيضًا كتاب رجار) نسبة إلى روجر الثاني أو رُجار ملك صقلية)70 خريطة بالإضافة إلى خريطة العالم الدائرية المألوفة. وقسم كل إقليم إلى عشرة أقسام رأسية أفرد لكل منها خريطة. وقد جمعها مولر كلها، وكوّن منها خريطة واحدة بلغت مساحتها مترين مربعين.

عني الجغرافيون العرب والمسلمون بأنواع مختلفة أخرى من الخرائط؛ كخرائط المدن والمساجد والسواحل، وخرائط توضيح اتجاه القبلة. ومن ذلك خريطة العراق للمقدسي والإصطخري. وخريطة مدينة قزوين للقزويني. وخريطتا تحديد القبلة للصفاقسي وابن الوردي. كما اهتم الجغرافيون العرب بالخرائط البحرية. من أهم هذه الخرائط، تلك التي رسمتها أسرة الشرفي الصفاقسي التونسية بدءًا من عام 958هـ، 1551م رسموا فيها سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية وسواحله الشمالية في إيطاليا وأسبانيا وجنوب فرنسا وسردينيا وكورسيكا، وسواحل البحر الأسود وبحر آزوف وسواحل الشام وبرقة ومصر .

رواد الجغرافيا وأهم مؤلفاتهم .جاب الجغرافيون المسلمون معظم أنحاء العالم المعروف آنذاك، وعادوا ليسجلوا حصيلة وافرة من المعلومات الجغرافية المهمة المبنيّة على المشاهدة، وكتبوا عن حياة الشعوب الأخرى وعاداتهم وطبائعهم وأصبح لهذا العلم أهميته بعد أن أسهم فيه هؤلاء الجغرافيون إسهامًا بيّنًا. وقد تناولت تصنيفاتهم شتى فروع المعرفة الجغرافية المعروفة حاليًا، وكتب في ذلك أعلام الجغرافيين من أمثال اليعقوبي والمقدسي والمسعودي والبيروني والإصطخري وابن حوقل والإدريسي وياقوت الحموي. انظر جدول أشهر الجغرافيين العرب وأهم مؤلفاتهم في هذه المقالة. ويتناول الحديث فيما يلي إسهام ثلاثة من الجغرافيين عاشوا في حقب مختلفة ومثلوا مدارس جغرافية متباينة، وهم المقدسي والإدريسي وياقوت الحموي، ويمثل الأول مدرسة الجغرافية الإقليمية، والثاني المدرسة المطورة للخرائط بينما يمثل الثالث كتّاب الجغرافيا المعجمية.

إسهام المقدسي. كان شمس الدين أبو عبدالله المقدسي البشاري (ت 390هـ، 1000م) من كبار الجغرافيين ومشاهيرهم. ويعد المقدسي من طليعة العلماء الذين كتبوا في الجغرافيا الإقليمية، ويتضح ذلك بجلاء في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .واقتصر فيه على مملكة الإسلام، ولم يدون شيئًا عما سواها لأنه كما يقول لم يزرها، ولم ير فائدة في ذكرها وإن كان قد ذكر الأماكن التي يقطنها المسلمون منها. وقام في هذا المصنف بالتركيز على الجغرافيا الوصفية؛ كالكلام عن الأقاليم السبعة وسطح الأرض والأقسام السياسية وذكر المسافات وطرق المواصلات. وقلّما تعرض للجغرافيا الطبيعية كالجبال والأنهار، ولكنه أسهب في الجغرافيا البشرية كالبحث في المناخ والزرع والشعوب واللغات وأنواع التجارة، والأخلاق والطباع والعادات، والضرائب. ورسم في كتابه البلدان خريطة مجسّمة وضّح فيها الأقاليم التي زارها وحدودها، وجعل فيها الطرق المعروفة التي تصل بين المدن باللون الأحمر والصحاري باللون الأصفر، والبحار باللون الأخضر، والأنهار باللون الأزرق والجبال باللون الأغبر.

تأثر المقدسي في تقسيماته الإقليمية بعمل مَنْ سبقه من الجغرافيين الإقليميين كالإصطخري وابن حوقل على الرغم من أنه حاول إدماج بعض الأقاليم في بعض، وميَّز بعض الأقاليم التي لم يميزها سابقوه. وقسّم الأقاليم الإسلامية إلى قسمين: أحدهما يتناول أقاليم العرب، والثاني أقاليم العجم؛ وهو أمر لم يسبق إليه. وضمّن القسمين 15 إقليمًا كان نصيب أقاليم العرب منها سبعة هي: جزيرة العرب؛ العراق؛ آقور (أرض الجزيرة)؛ الشام؛ مصر؛ المغرب؛ بادية العرب. أما أقاليم العجم فثمانية هي: المشرق (خراسان، وسجستان، وما وراء النهر)؛ الدّيلم؛ الرحاب؛ الجبال؛ خوزستان؛ فارس؛ كرمان؛ السند. ولم يكن أساس التقسيم لديه ثابتًا فهو مرة إداري ومرّة سياسي ومرّة لغوي، إلا أنه يدافع عن عدم الاطّراد في هذه التقسيمات بقوله ¸... أما خراسان فإن أبا زيد جعلها إقليمين، وهو إمام في هذا العلم بخاصة في إقليمه؛ فلا عيب علينا أن جعلناها جانبين. فإن قال لم خالفته بعد ما نصَّبته إمامًا فصيرت خراسان إقليمًا واحدًا قيل له: لنا في هذا جوابان؛ أحدهما أننا لم نحب أن نفرق مملكة آل سامان، والجواب الثاني أن أبا عبدالله الجيهاني أيضًا إمام في هذا العلم وهو لم يفرق خراسان.·

لم يقف تقسيم المقدسي عند حد الأقاليم، بل قسّم كل إقليم إلى كُوَر (قرى متجمعة)، ولكل كور قصبة، ولكل قصبة مدن. ثم تناول جوانب عديدة تغطي معظم ما تغطيه فروع الجغرافيا حاليًا؛ فقد تناول المناخ من حيث الأمطار والرياح والحرارة، والمنافذ والبحار والبحيرات والأنهار، والجوانب الاقتصادية من زراعة وتجارة وصناعة ومهن، والأوزان والمكاييل والأطعمة والأشربة والعادات والتقاليد والمكوس والطرق والمسافات.

إسهام الإدريسي. يعد الشريف الإدريسي أشهر جغرافيِّي القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي. ولما انتقل إلى صقلية من قرطبة دعاه الملك رجار (روجر الثاني) ملك صقلية ليؤلف له كتابًا في الجغرافيا ¸ليعرف كيفيات بلاده حقيقة، ويعلم حدودها ومسالكها برًا وبحرًا· وسمى الكتاب باسم نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ويسمى أيضًا كتاب رجار أو الكتاب الرجاري .وقيمة هذا الكتاب تنبع من الخرائط التي بلغ عددها السبعين وغطت العالم أجمعه بدقة. ورسمها على أساس أن الأرض كروية في وقت ساد خلاله الاعتقاد الجازم بأنها مسطحة. وكان وصفه لأوروبا فيها أدق وأشمل حيث كان هذا الهدف الثاني من أهداف رُوجر. كما أعدّ الإدريسي لروجر كرة من الفضة الخالصة تمثل الجزء المعمور من العالم آنذاك

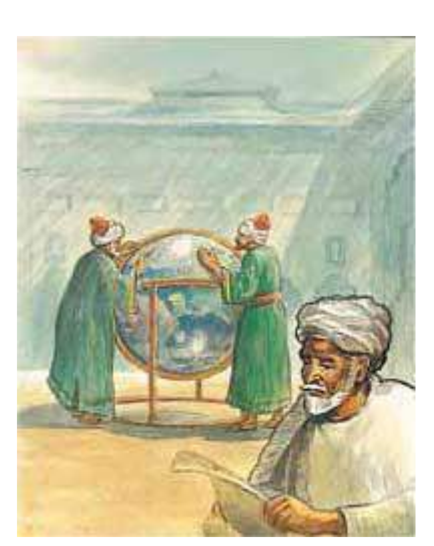


خرائط الإدريسي التزم فيها مقياس الرسم وتحديد الخطوط ودوائر العرض .

ووضعها في قصر باليرمو عاصمة صقلية آنذاك، وانحصر هذا الجزء المعمور بين خطي عرض 63° شمالاً و16° جنوبًا، حيث منابع النيل والبحيرات الاستوائية التي يُظن أن الأوروبيين اكتشفوها خلال القرن التاسع عشر. يقول الإدريسي عن هذه الخريطة إن روجر أحضر له كرة من الفضة ¸عظيمة الجرم ضخمة الجسم في وزن أربعمائة رطل بالرومي، في كل رطل منها مائة درهم واثنا عشر درهمًا، فلما كملت أمر أن تنقش عليها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وريفها، وخلجانها وبحارها ومجاري مياهها، ومواقع أنهارها وعامرها

وغامرها، وما بين كل بلدين فيها وبين غيرها من الطرقات المطروقة والأميال المحدودة، والمسافات المشهورة، والمراسي المعروفة، على نص ما يخرج إليهم مثلاً في لوح الترسيم، ولا يغادروا منه شيئًا ويأتوا به على هيئته وشكله.

ظل الإدريسي في بلاط روجر إلى أن توفي روجر عام 549هـ، 1154م، واستمر يعمل في بلاد النورمنديين؛ فصنّف كتاب روض الأُنس ونزهة النفس الذي اشتهر فيما بعد باسم كتاب المسالك والممالك وقد ألّفه بطلب من الملك غليوم الأول الذي خلف روجر، وفي عهده حطّم الثوار كرة الفضة ونهبوها عام 555هـ، 1160م. وبالإضافة إلي الكتابين المذكورين كانت له مؤلفات أخرى في الجغرافيا منها مصوّر لأشكال الكرة الأرضية، وخرائط تعد أولى الخرائط الصحيحة في العالم. ومن آرائه أن الأرض كروية لكنها ليست دائرية تمامًا فهي كالبيضة يقسمها خط الاستواء إلى قسمين متساويين؛ شمالي وجنوبي. ولعله أول من قاس بنجاح خطوط العرض. والتزمت خرائطه بمقياس الرسم وتحديد خطوط الطول والعرض تحديدًا دقيقًا مستخدمًا الألوان.



خرائط الإدريسي رسمها على أساس أن الأرض كروية في وقت ساد فيه الاعتقاد الجازم أنها مسطحة، وأعد لروجر الثاني ملك صقلية كرة من الفضة الخالصة تمثل الجزء المعمور من الأرض .

إسهام الحموي. صنّف أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت 626هـ، 1229م) أوسع المعاجم الجغرافية وهو كتاب معجم البلدان .ويغطي كل الرقعة الإسلامية آنذاك .يبدأ المعجم بمقدمة يوضح فيها موضوع معجمه فيقول ¸فهذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والقرى، والمحال، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران....

وياقوت ناقل أمين فقد أفاد من مؤلفات من سبقه في كثير من الأحيان، وأرجع الفضل لذويه، ومن هؤلاء ابن خرداذبه، والأصمعي والبلخي، والسيرافي والإصطخري، وابن حوقل، والبكري. ويبدأ كتابه بمقدمة تحتوي على خمسة أبواب مليئة بمعارف عامة تتصل بشتى العلوم الجغرافية، ثم تحدث عن صورة الأرض وأنها كرة في وسط الفلك. ثم تناول المصطلحات الجغرافية، والأقاليم وقياس المسافات، والألفاظ اللغوية والفقهية المتعلقة بالزكاة من حيث حكم الأرض التي يفتحها المسلمون، وحكم قسم الفيء والخراج فيما فتح منها بالصلح أو القتال. ثم يختم المقدمة بمعارف تاريخية عامة تتعلق بديار الإسلام وغيرها.

يلي ذلك متن المعجم، ويذكر فيه أسماء الأماكن مرتبة ترتيبًا ألفبائياً، ويحدد أطوال هذه الأماكن وعروضها ونشأتها ودورها التاريخي. ويحرص على رد كل اسم في هذا المعجم إلى أصل عربي، إلا فيما ندر، ويستشهد على هذا الاشتقاق بأشعار العرب. وتحظى الأماكن الكبيرة أو المشهورة لديه بعناية خاصة؛ إذ يصف كلا منها وصفًا مفصلاً دقيقًا يذكر فيه أهم المعالم كالمساجد والقلاع، وإذا اشتهر المكان بحادثة تاريخية، توقف عندها وسردها ووصفها. ويورد

أسماء أهم العلماء والأدباء الذين نشأوا في ذلك المكان أو عملوا فيه، ويصف أحيانًا الأحوال الاجتماعية للقاطنين بهذا المكان ويورد أثناء ذلك عددًا من القصص أو الأحداث الطريفة.

أشهر الجغرافيين العرب وأهم مؤلفاتهم

الجغرافي	تاريخ وفاته	أهم مؤلفاته
مؤرّج السدوسي	195هـ، 810م	كتاب الأنواء .
النضر بن شميل	204هـ، 820م	كتاب الأنواء؛ كتاب الشمس والقمر .
هشام الكلبي	204هـ، 820م□	كتاب الأقاليم؛ كتاب البلدان الصغيرة، كتاب البلدان الكبيرة
الخوارزمي، محمد بن موسى	232هـ، 846م	صورة الأرض .
الكندي	260هـ، 874م	رسم المعمور من الأرض .
المروزي، جعفر بن أحمد	274هـ، 887م	المسالك والممالك .
البلاذري	279هـ، 892م	فتوح البلدان .
اليعقوبي	284هـ، 897م	كتاب البلدان .
السرخسي، أحمد	286هـ، 899م	المسالك والممالك .
الإصطخري	نحو سنة 300هـ، 912م	مسالك الممالك .
ابن خرداذبة	312هـ، 924م	المسالك والممالك .
البتاني	317هـ، 929م	الزيج الصابي .
البلخي، أبو زيد	322هـ، 934م	صور الأقاليم (المسالك والممالك)
الرازي، أحمد بن موسى	324هـ، 936م	في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها .

سهراب أبو الحسن	نحو سنة330هـ، 941م	عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة .
الهمداني	334هـ، 945م	صفة جزيرة العرب .
المسعودي	346هـ، 957م	مروج الذهب؛ التنبيه والإشراف .
التاريخي محمد الوراق	363هـ، 973م	المسالك والممالك (مسالك إفريقية وممالكها,)
ابن حوقل النصيبي	بعد سنة 367هـ، 978م	صورة الأرض (المسالك والممالك,)
السيرافي، أبوزيد	368هـ، 979م	سلسلة التواريخ .
المهلبي	386هـ، 996م	المسالك والممالك (العزيزي.)
البوزجاني، أبو الوفاء	388هـ، 998م	المجسطي .
المقدسي،شمس الدين أبو عبدالله	390هـ، 1000م	أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .
البيروني، أبو الريحان	440هـ، 1048م	القانون المسعودي؛ الآثار الباقية من القرون الخالية؛ تقاسيم الأقاليم .
ناصر خسرو□	بعد سنة 455هـ، 1063م	سفر نامة .
البكري، أبوعبيد	487هـ، 1094م	معجم ما استعجم؛ المسالك والممالك .
الزمخشري، أبو القاسم	538هـ، 1144م	كتاب الأمكنة والأزمنة والأماكن والمياه .
الإدريسي، الشريف	560هـ، 1164م	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (كتاب رجار.)
أبو حامد الغرناطي	565هـ، 1170م	تحفة الألباب وتحفة الإعجاب .
المغربي، علي بن موسى	593هـ، 1197م	كتاب الجغرافيا .
ابن جبير الكناني	614هـ، 1217م	رحلة ابن جبير (رحلة الكناني.)
ياقوت الحموي	626هـ، 1229م	معجم البلدان .

القزويني	628هـ، 1230م	آثار البلاد وأخبار العباد؛ عجائب المخلوقات .
البغدادي، عبداللطيف	629هـ، 1232م	تذكرة الاعتبار (كتاب الإفادة والاعتبار.)
المراكشي، أبو علي حسن	نحو سنة 660هـ، 1262م	جامع المبادئ والغايات إلى علم الميقات .
محمد الوطواط الكتبي الوراق	718هـ، 1318م	مباهج الفكر ومناهج العِبَر□
الدمشقي الأنصاري الصدفي	726هـ، 1326م	نخبة الدهر في عجائب البر والبحر .
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل	732هـ، 1331م	تقويم البلدان .
ابن الوردي، سراج الدين	749هـ، 1348م	خريدة العجائب وفريدة الغرائب .
العمري، ابن فضل الله□	749هـ، 1348م□	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .
ابن بطوطة	779هـ، 1377م	تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .
ابن خلدون	808هـ، 1406م	المقدمة .
المقريزي	845هـ، 1441م	المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .
ابن ماجد النجدي	895هـ، 1489م	الفوائد في أصول علم البحر والقواعد .
الحميري، محمد بن عبدالمنعم	900هـ، 1494م	الروض المعطار في خبر الأقطار .
المهري، سليمان بن أحمد	بعد سنة 950هـ، 1543م	المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر؛ العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية .

أسئلة :

- الجغرافيا

1. -هل كانت كلمة جغرافيا معروفة للعرب عند بدء تأليفهم في هذا العلم؟
2. -لماذا اهتم العرب بالجغرافيا الفلكية؟
3. -من الخليفة العباسي الذي طلب من الجغرافيين العرب أن يجدوا له محيط الكرة الأرضية؟
4. -هل عرف العرب خطوط الطول والعرض؟
5. -اذكر بعض الجغرافيين العرب .
6. -اذكر بعض مصنفاتهم التي خلفوها .
7. -ما عنوان كتاب ياقوت الحموي في الجغرافيا؟
8. -اذكر بعض أسماء الرحالة العرب المشهورين .
9. -هل عرف العرب الخرائط، وماذا كان اسمها في الأول؟ ومتى استعملت كلمة خرائط في اللغة العربية؟

رؤية تحليلية :

كتب التفسير فقد احتلت أهمية واضحة في معظم الدراسة ومن اهمها: كتاب (تفسير القرآن) لعبد الرزاق بن همام الصنعائي (211 هـ/826 م)، وكتاب (جامع البيان في تفسير آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (310هـ/922 م)، وكتاب (تفسير الجلالين) لعبد الرحمن بن الكمال السيوطي (911 هـ/1505 م). وكان لهذه الكتب أثراً كبيراً في بحثنا حيث قامت بشرح وايضاح الآيات القرآنية الكريمة التي أوردناها بخصوص الرحلة وشرح ما ورد من القصص القرآنية.

و كتب الصحاح والحديث النبوي الشريف باهتمام واضح في المعالم في معظم فصول البحث ومن أهم هذه الكتب كتاب (سنن الترمذي) لابي عيسى محمد بن عيسى (ت 209 هـ/909 م)، وكتاب (سنن ابي داود) لسليمان بن الاشعث السجستاني (ت 275 هـ/888 م)، وكتاب (سنن ابن ماجة) لابي عبد الله يزيد القزويني (ت 275 هـ / 888 م)، وكتاب (صحيح ابن حبان) لابي حاتم محمد بن حبان البستي (ت 354هـ/965م .

ويعد كتاب (لسان العرب) لابن منظر ابو الفضل جمال الدين (ت711هـ/1311م) من أهم المعاجم اللغوية التي استعنا بها في بيان معاني البعثة وغيرها من المصطلحات الواردة في البحث وفي الفصل الأول، وكتاب (تهذيب اللغة) لابي منصور محمد بن احمد الازهري (ت370 هـ/980 م)، وكتاب (تاج اللغة) لاسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ/1002 م)، وكتاب (المحكم والمحيط الاعظم في اللغة) لعلي بن اسماعيل ابن سيده (ت 458 هـ/1065 م)، وكتاب (القاموس المحيط) لمحمد محي الدين الفيروز آبادي (ت817هـ/1414م)، وكتاب (تاج العروس في جواهر القاموس) لمحب الدين أبي الفضل الزبيدي (ت1205 هـ / 1790 م)، فقد كانت لهذه المعاجم أثراً كبيراً في معظم فصول البحث وذلك من خلال بيان معان الكلمات المبهمة لغةً.

اما الكتب الادبية فقد كان لها الحضور في اغناء بعض جوانب البحث منها كتاب (البيان والتبيين) لابي عمر بن بحر الجاحظ (ت 255هـ / 867 م) وكتاب (اساس البلاغة) لجار الله محمد بن عمر (ت 538هـ/1143 م) فقد افادتنا في الفصل الاول في بيان مفهوم البعثة من خلال توضيح بعض المفاهيم واقتباس بعض الحوادث التاريخية منها .

شكلت كتب الجغرافية العماد الاول لبحثنا فقد استقينا مادة البحث الاساسية من هذه الكتب ومنها كتاب (الاعلاق النفسية) لابي علي احمد بن عمر المعروف بابن رسته (ت290هـ / 903م ، وكتاب (رسالة ابن فضلان)، لابن فضلان أحمد بن العباس بن راشد بن حماد، (عـاش في أواسط القرن الرابع الهجري) وكتابه هذا عبارة عن مذكرة دون فيها كل ما شاهد في طريقه الى بلاد البلغار، ويعد هذا الكتاب صورة ناطقة لحياة شعوب شرق أوروبا من بلغار وروس وصقالبة وكتاب (مختصر كتاب البلدان) لأبو بكر أحمد بن محمد بن اسحق بن الفقيه الهمذاني (ت340هـ/951م) ، ومن الكتب المهمة هي الرسالة الأولى التي خلفها لنا أبو دلف مسعر بن المهلهل (عاش في منتصف القرن الرابع الهجري) وهو عبارة عن مذكرة تتحدث عن رحلته الى كل من الصين والهند فيصف لنا كل ما شاهده من عادات وتقاليد الترك .

هنالك مجموعة كبيرة من كتب الجغرافية كان لها أثر كبير في اخراج بحثنا على صورته هذه لما قدمته من معلومات مهمة وجديدة حول البعثات وأنواعها، منها كتاب (المسالك والممالك) لأبي اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي الاصطخري (ت341هـ/952م)، وكتاب (المسالك والممالك) لابي القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه (ت300هـ/913م) ، وكتاب (صورة الارض) لابي القاسم بن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م)، وكتاب (الاشارات الى معرفة الزيارات) لابي الحسن علـي ابـي بكر الهروي (ت611هـ/1214م)، وكتاب (معجم البلدان) لابـي عبـد الله شهـاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) ، وكتاب (تقويم البلدان) لعماد الدين اسماعيل ابي الفدا (732هـ/1331م)، وكتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) لمحمد بن احمد البشاري (ت390هـ/999م).

اما الكتب التاريخية فقد كان لها مكانا مميزا في جوانب متعددة وفي مقدمة هذه الكتب (تاريـخ الرسل والملوك) لابي جعفر محمد بن جرير بن خالد الطبري (ت 310 هـ /922م) وكتاب (تاريخ مختصر الدول) لغريغور الملطي المعروف بابن العبري (ت 685 هـ/1286 م) وكتاب (البداية والنهاية) لعماد الدين ابي الفدا المعروف بابن كثير (ت 774 هـ/1372م).

الكتب الاقتصادية لا غنى عنها في عملنا هذا اذ افادتنا فائدة كبيرة في ترجمة الشخصيات الموجودة في الرسالة منها كتاب (الاصابة في تمييز الصحابة) لابي أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م)، وكتاب (طبقات الاطباء والحكماء) لابي داود سليمان بن حسان الاندلسي المعروف بابن جلجل (ت 377هـ/987م)

وكتاب (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) لابي عمرو يوسف بن عبد الله الضمري ابن عبد البر (ت463هـ/1070م)، وكتاب (طبقات الامم) لابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي (ت462 هـ / 1069 م)، وكتاب (طبقات الشافعية الكبرى) لابي نصر عبد الوهاب الكافي تاج الدين (ت 771 هـ/1369 م) .

أما المراجع الاسلامية المتاخرة فهي كثيرة ، ومن أهم تلك المراجع هي : كتب أدب الرحلات ككتاب (تاريخ الادب الجغرافي) لكرانتشكوفسكي، وكتاب (الجغرافية والجغرافيون في الاندلس) لحسين مؤنس وكتاب (الجغرافية والرحلات عند العرب) لزيادة نقولا .


الهوامش

1.	حاجي خليفة	كشف الظنون	1747/2	استانبول 1943
2.	مرجع سابق			
3.	الكتبي ابن شاكر	فوات الوفيات	135/2	
4.	ياقوت	معم الأدباء	94/6	
5.	ياقوت	معم الأدباء	210/7	
6.	ياقوت	معم الأدباء	309/5	
7.	ياقوت	معم الأدباء	259/6	
8.	ياقوت	معم الأدباء	261/7	
9.	ابن النديم	الفهرست	53	
10.	البلاذري	أنساب الأشراف	36/5	
11.	اليعقوبي	البلدان	233	
12.	ابن قتيبة	المعارف	7	
13.	مسكويه	تجارب الأمم	تحقيق أبي القاسم امامي	طهران 2001
14.	مسكويه	تجارب الأمم	تحقيق أبي القاسم امامي	27/1
15.	بالنثيا	تاريخ الفكر الأندلسي	193 وما بعدها	
16.	ابن الخطيب	الإحاطة	تحقيق عنان	القاهرة
17.	ابن الخطيب	اللمحة البدرية		القاهرة 1955
18.	ابن الخطيب	نفاضة الجراب		القاهرة
19.	ابن الخطيب	الإحاطة	88/1	
20.	ابن الخطيب	نفاضة الجراب	46	
21.	ابن الخطيب	أعمال الأعلام		
22.	دي ايالا	مدونة ملوك قشتالة	493/1	
23.	بالنثيا	مرجع سابق	259 وما بعدها	
24.	المقريزي	المواعظ والاعتبار	95/2	
25.	المقريزي	المواعظ والاعتبار	3/1	
26.	المقريزي	السلوك	4/ حوادث 826 هـ	
27.	المقريزي	المواعظ	84/1	

على سبيل التمهيد

الرحلة الوجه الذي تأخذه فيه وتريده، والرحيل: اسم ارتحال القوم للمسي اذاً مفهوم الرحلة ما هو الا جزء من حركة الحياة على الارض، وقد لا تتجاوز مسافة قصيرة، وقد تمتد وتطول حتى تعطي أطول المسافات بين المكان والمكان الآخر[2].

مع ظهور نوع جديد من الرحلات فرضته طبيعة الظروف الجديدة التي رافقت قيام الخلافة العباسية والمتمثلة بانفتاح الفكر العربي الاسلامي على مختلف التيارات الحضارية، وهي ما تسمى بالرحلات التكليفية التي تبنتها ادارة الدولة وشجعتها لتحقيق مقاصدها في الاطلاع على شؤون بلاد العالم النائية [3].

فهذه الرحلات هي أشبه بوفود تبعثها السلطات والحكومات الى الاقطار والممالك وتحملها مسؤوليات ومهمات تقوم بها، اما سياسية او ثقافية او دينية او اقتصادية او استطلاعية [4] خالصة [5]. تعددت اغراض الرحلات وتنوعت اهدافها واغراضها الاساسية منها السفارات والبعثات الادارية (السكك والبريد والخراج) واخيرا البعثات العلمية البحتة سخرت لاغراض علمية مختلفة الجوانب[1] . ويمكن عدها نوعا مميزا من طرق الكشف عن نواحي المعرفة، كرست، لها الاموال الطائلة واستعملت لاجلها الوسائل الدبلوماسية وخدمتها سياسة الدولة الخارجية[2] وحددت أهدافها الرسمية[3] بالاضافه الى اختيار المبعوث او الرسول الذي ترسله الى ناحية من النواحي للكشف عن مسألة علمية [4] وتقوم بمتابعة قضية علمية معينة تنوعت دوافع ومهام هؤلاء المبعوثين منها بث روح الاستزادة من المعرفة والاطلاع عن البلاد التي زاروها[5]. كان هؤلاء الرحالة او المبعوثون يتمتعون بحاسة قوية في الملاحظة وكم تكبدوا من مشاق في سبيل تحقيق مهامهم

---

(2) الشامي ، صلاح الدين، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الدراسة الميدانية، منشأة المعارف بالاسكندرية (القاهرة-1982)، ص5.

(3) اسود، فلاح شاكر، الرحلة وأثرها في ازدهار المعرفة الجغرافية، الندوة القومية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب، ج2، (مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد 13-15شباط 1989)، ص1.

(4) استطلاعية: وهي مأخوذة من (طالع) الشيء أي اطلع عليه، وأطلعه على سره، استطلع رأيه، وهو ايضا موضوع للاطلاع من اشراف الى انحداره، الرازي، مختار الصحاح، مادة :طلع، ص395-396.

(5) ابن فضلان، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدهان، سلسلة المختار من التراث العربي 3، ط2، (دمشق-1977)، ص23.

(1) كرانشكوفسكي، اغناطيوس يوليا نوفتس، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة : ايغور بليايف، ج1، (موسكو-1957)، ص132.

(2) زيغريد، هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، ط3، (بيروت –1979)، ص374.

(3) الشامي ، صلاح الدين ، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ،(القاهرة –1980)،ص219.

(4) مؤنس، حسين، الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد-1967)، ص9.

(5) بوزورت، شاخت، تراث الاسلام، ترجمة: حسين مؤنس واحسان صدقي، مراجعة: فؤاد زكريا، ج2، (الكويت-1988)، ص271.

والحصول على معلومات دقيقة ومتنوعة[6]. ومن الجميل الاستعانة بنص رحالتنا المقدسي، فهو يصف لنا الروح العلمية التي يجب ان يتمتع بها الرحالة او المبعوث وان لم يكن موفداً رسمياً (...وتحريت جهدي الصواب واستعنت بفهم أولي الألباب ... وما استعنت به على تبيانه، سؤال ذوي العقول من الناس، ومن لم اعرفهم بالغفلة والالتباس عن الكور والاعمال في الاطراف التي بعدت عنها، ولم يتقدر لي الوصول اليها ...)[7].

وبهذا هيأت الرحلة للرحالة والمبعوث ان يجد نفسه وجها لوجه مع الواقع الجغرافي للمكان، وان يعايشه ويشعر بحياة الناس وخصائصهم فيه [8]، هنا اصبح الفرق واضحا بين الرحلات بانواعها المختلفة التي سنستعرضها في الآتي بإيجاز سريع:

مع ان حركة الجهاد العربية الاسلامية شكلت أحد أهم مبادئ الاسلام لكنها من ناحية اخرى يمكن عدها من اوائل الرحلات العربية الاسلامية حينما نزح المسلمون من جزيرتهم واندفعوا في عمق قارة آسيا [1] ففتحت امامهم أرمينيا والقوقاز وتوغلوا في بلاد الروم. ثم فتحوا تركستان، وارض الهند مواصلين زحفهم الى ما وراء نهري جيحون وسيحون[2] ووادي مهران بالسند[3] وصولا الى حدود الصين[4].

من هنا، يمكن عد الفتوحات رحلة جهاد وعمل عسكري في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وارادته، وفي الوقت نفسه هي رحلة تعايش مع أجناس مختلفة من الشعوب والقبائل[5]، مستندين بذلك الى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[6].

اتساع الدولة العربية الاسلامية وعدها اكبر قوة في ذلك الوقت حال دون اكتفائها بمعرفة اراضيها وحدودها بل كان ضروريا ان تحصل على معلومات عن الاقطار الاخرى لاسيما المجاورة لها[7].

---

[6] نفيس، احمد، الفكر الجغرافي في التراث الاسلامي، ترجمة: فتحي عثمان، ط2، (الكويت–1978)، ص40.
[7] احسن التقاسيم ،ص3.
[8] الشامي، الفكر الجغرافي سيره ومسيره ، ص200.
[1] ضيف، شوقي، الرحلات، ط4، فنون الادب العربي الفن القصصي –4، (القاهرة-د.ت)، ص48.
[2] جيحون: نهر سرداريا ببلخ يجري من أعين الى ان يأتي خوارزم فيتفرع بعضه في اماكن ويمضي باقيه الى البحيرة التي عليها القرية المعروفة بالجرجانية اسفل خوارزم، اما سيحون فهو نهر أموداريا يقع في الهند يجري من جبال بأقاصيها الى ان يصب في البحر الحبشي مما يلي ساحل الهند . الآلوسي ، ابو الفضل محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج13، دار احياء التراث العربي (بيروت-د.ت)، ص99.
[3] النرشخي، محمد، اخبار بخارى، (باريس–1892)،ص46، لابي سعد، ادب الرحلات، ص17-18.
[4] المصدر نفسه ،ص48 .
[5] الشامي ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، ص92.
[6] القرآن الكريم ، سورة الحجرات، آية 13.
[7] حميدة ، عبد الرحمن ، اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دمشق –1983، ص36.

من هنا بدأ العرب بالاتساع شرقا وغربا سلما عن طريق التجارة والهجرة والاستقرار الى قارة أفريقيا[8] فكانوا من أوائل من عرف الاجزاء الشرقية منها كزنجبار [1] ومدغشقر [2].

ان نشر الامن والاستقراروالطمأنينة في ديار المسلمين وفرض النظام في ربوع الاراضي الاسلاميه واشاعة هيبة واحترام الخلافه فيها، يعد اهم دعم تتطلبه الرحلة، لكي تؤمن سيرتها الهادفة في أي اتجاه[5] مما ادى الى توسع المعارف الجغرافية[6]. ومن الطريف الاشارة هنا الى ان الخلفاء العباسيين كانوا يعتمدون عددا من الرجال والنساء يعملون في البلاد المجاورة للدولة العربية الاسلامية يوافونهم بأخبارها وعجائب الامور فيها[7] فقد كان عبد الله الشهير بسيد غازي[8] يوافي الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) وعلى مدى عشرين عاما بأخبار بلاد الروم وعجائبها[9] اما مسلم بن ابي مسلم الجرمي[10] فحينما افتدي من الأسر البيزنطي زمن الخليفة العباسي الواثق (227-232هـ/841-846)[11] قدم للخليفة معلومات مهمة ودقيقة عن عجائب بلاد الروم والتقسيمات الادارية فيها[12]، ويمكن ان نعد الجرمي هو احد الجغرافيين القلائل الذين وصلوا الى المناطق القريبة من روسيا والامبراطورية الرومانية [1] وما جاورهم من الافار[2] البلغار[3] والخزر[4] والصقالبة [5] فكتب عنهم واحوال بلادهم الجغرافية والاقتصادية [6].

---

[8] ابن خلدون، ابو زيدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والبربر،ج3، (بولاق–1867)، ص98-100.

[1] زنجبار: جزيرة في المحيط الهندي، تقع قرب شاطئ تنفانكيا وتؤلف مع جزيرة بمبادولة تنزانيا، المنجد في الاعلام، ص339، مجموعة من كتاب العالم العربي الاسلامي، المطبعة الكاثوليكية (بيروت-1978)، ص339.

[2] مدغشقر : جزيرة في المحيط الهندي جنوب شرق افريقيا استقلت عن فرنسا عام 1960عاصمتها تناريف، اهم حاصلاتها الزراعية أرز، ذرة، بن، قصب السكر ، المنجد في الاعلام ، ص645.

[5] الشامي، الفكر الجغرافي سيره ومسيره ، ص217.

[6] فوزي ، حسين ، حديث السندباد القديم ، (بيروت-1977) ،ص21.

[7] كراتشوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ج1،ص133.

[8] عبد الله الشهير بسيد غازي : لم نعثر له على ترجمة .

[9] المصدر نفسه ، ج1،ص133.

[10] مسلم بن عبد الرحمن الجرمي: احد المهتمين بحديث الرسول مات بطرسوس في شهر رمضان سنة 240هـ / 854م، الخطيب البغدادي، احمد بن علي، ابو بكر، تاريخ بغداد، ج13، دار الكتب العلمية، (بيروت-د.ت)، ص102.

[11] كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي، ج1، ص133.

[12] ابن خردادابه، ابو القاسم عبد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، (بغداد –د.ت)، ص105.

[1] حسن، صبري محمد ، الجغرافيون العرب، ج1، مطبعة القضاء(النجف-1959)، ص134.

[2] الافار: أقوام مغولية سكنت شمال آسيا ثم نزحت الى جنوب روسيا.
Micropeadia of Britannica, VII, P.360, (London-1926).

[3] البلغار: هم شعب لا يعرف أصلهم، ورد اسمهم حوالي سنة 272هـ/885م ضمن القبائل القفقاسية الرحل الذين سكنوا الخيام، تقع بلادهم شمال مملكة الخوز شمال وأوسط نهر الفولغا، أي عند التقائه بأحد روافده وعلى نهر كاما. دائرة، مادة: بلغار، م4، ص67، 88.

[4] الخزر: أقوام يرجعون الى يافث بن نوح يسكنون خلف مدينة باب الأبواب ما بين بلاد خوارزم شرقاً واقليم برطاس غرباً، أما شمالاً تحدهم بلاد الروس. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص80، القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت-1960)، ص584.

[5] الصقالبة: هم الأسلاف يسكنون الاراضي المجاورة لبلاد الخزر، دائرة المعارف الاسلامي، مادة: صقالبة، ج14، ص250.

[6] ابن خراداذبه، المسالك والممالك، ص105.

أ- الخراج: وردت لفظة الخراج في القرآن الكريم بقوله تعالى: (أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ) [7] ويعني الرزق او الاجر[8].

والخراج هي ضريبة توضع على رقاب الارض[9]، اخذ هذا المفهوم يصبح اكثر شمولا بعد اتساع مساحة الدولة العربية الاسلامية على اثر حركة الجهاد والفتوح لاسيما منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ψ) (13-23هـ/634-643م)، لانضمام اراض عديدة شرقا وغربا للدولة الاسلامية الجديدة[10]. اثر ذلك اتخذت ادارة الدولة قرارا سديدا بالغ الأهمية الاهمية مفاده جعل هذه الاراضي –أي المفتوحة عنوة – فيئا[1] للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم بحيث تصبح ملكيتها عامة للامة[2] وعمليا تبقى بيد اصحابها يزرعونها ويدفعون عنها ضريبة الخراج ، ولينتفع عموم المسلمين بواردها على مرور الوقت[3] فضلا عن اختلاف تقدير الخراج حسب نوع الارض والسقاية ونوع غلتها[4] كان له الاثر الفاعل في ارسال الخلفاء الراشدين العمال لمسح اراض الشام والسواد ومصر لمعرفة خراجاتها . ومن هذه البعوث ارسال الخليفة عمر بن الخطاب عثمان بن حنيف وحذيفه بن اليمان لمساحة ارض السواد[5] فضلاً عن استفادة العرب الكبيرة من مسوحات من سبقهم من الفرس والروم في تقدير خراج السواد والشام[6]، الا ان الظروف الجديدة استلزمت

---

(7) سورة المؤمنين ،آية 72.

(8) الصابوني، محمد بن علي، صفوة التفاسير، ج1، دار القرآن الكريم،(بيروت–1981)، ص315؛ ابو عبيدة، القاسم بن سلام؛ الاموال (بيروت –1986)، ص75.

(9) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مراجعة: محمد فهمي السرجاني، دار التوفيقية للطباعة (د.م – 1978)، ص166.

(10) عن تلك العمليات ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص130-131، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، (القاهرة-1907)، ص231،141-234.

(1) الفيء: وهو ما أفاء الله على المسلمين من مال الكفار من غير حرب ولا جهاد. وهو ما رده الله تعالى على اهل دينه من اموال من خالف دينه بلا قتال اما بأن يجلو عن اوطانهم ويخلوها للمسلمين او يصالحوا على الجزية يؤدونها عن رؤوسهم او مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم فهذا المال هو الفيء. ابن منظور، لسان العرب، مادة: فيء، ج1، ص126.

(2) ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة، (بيروت–1979)، ص25؛ القرشي، يحيى بن ادم، كتاب الخراج، تصحيح ومراجعة: ابو الاشبال احمد محمد بن شاكر، (بيروت–1979)، ص20.

(3) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن احمد، الاستخراج لاحكام الخراج، (بيروت–1979)، ص403.

(4) القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص448-451.

(5) ابو يوسف، كتاب الخراج، ص26، الكتاني، عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، ج1، دار الكتاب العربي(بيروت د.ت)، ص394.

(6) ابو يوسف ، كتاب الخراج ، ص29-32 .

جمع معلومات دقيقة ومحققة عن تقسيم الولايات والاماكن المأهولة والمحاصيل الزراعية، وتقدير الخراج والضرائب سواء كانت عينية ام نقدية[7].

ب- البريد والسكك:

البريد: الرسل على دواب البريد والجمع برد. وبرد بريدا: ارسله. والبريد الرسول وابراده ارساله[8] ثم استعمل في المسافة[9] التي يقطعها الرسول وهي اثنا عشر ميلا [1] ويقال لدابته [2] بريد ايضا لسيره في البرد[3] ثم اطلق على حامل الرسائل وعلى اكياس البريد ، ثم استعمل في الاسلام واقيم له عامل مخصوص يسمى عامل البريد ينقل اخبار الولاة والبلاد لدار الخلافة وبالعكس[4].

رغم كون تنظيم البريد كان معروفا منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وأول من رتبه معاوية بن ابي سفيان (41-60هـ/ 661-679م) على طرق ومناهج مخصوصة[5] الا ان المركزية في النظام الاداري الذي طبقته الخلافة العباسية منذ عهد الخليفة العباسي الثاني ابي جعفر المنصور (136-158هـ/ 753-774م) تطلبت العناية بالطرق وتأمينها وشق طرق جديدة بعد استيفاء معلومات دقيقة عن تلك الطرق مع تعداد المراحل وسكك البريد [6] لتحديد المسافات وظروف السفر[7].

من هنا اصبحت مهمة صاحب البريد تتطلب ايجاد محطات ثابتة على الطرق لتنفيذ مهامه في ايصال الاخبار الى الخليفة من عماله في الاقاليم وبالعكس ، كذلك اخبار الوالي مع الرعية والحالة المعاشية فيها وامور الخراج والاسعار ، ويتوجب على صاحب البريد جمع الرسائل وتنظيمها وارسالها الى الخليفة واحيانا الى الوزير[8] وعليه معرفة الطرق ومواضع السكك والمسالك الى جميع النواحي بشكل دقيق في أي وقت قد يطلب منه الخليفة ذلك .

---

(7) كراشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ج1 ،ص19 .

(8) ابن منظور : لسان العرب ، مادة : برد ، ج3 ،ص86 .

(9) البريد: هو علم يتعرف فيه كمية المسالك والامصار من فراسخ واميال وانها مسافة شهرية او اقل او اكثر. القنوجي، صديق بن حسن، ابجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق:عبد الجبار زكار،ج2، بيروت– 1978، ص127، الرازي، مختار الصحاح، ص47.

(1) وهي اربعه فراسخ وفي الحديث لا تقصر الصلاة في اقل من اربعة برد وهي ستة عشر فرسخا والفرسخ ثلاثة اميال والميل اربعة آلاف ذراع ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : برد ، ج3 ، ص86.

(2) البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية اصلها بريده دم أي محذف الذنب، لان بغال البريد كانت محذوفة الاذناب فعربت الكلمة وسمي الرسول الذي يركبه بريدا. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج1، ص92.

(3) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر (بيروت –1990)، ص127 .

(4) الكتاني، التراتيب الادارية ، ج1 ، ص192 .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ،ص192.

(6) السكة هنا، اثنا عشر ميلا، والسكة الطريق المستوية ومأخوذة من سك الحراث. ابن منظور، لسان العرب، مادة: سكك، ج10، ص441.

(7) كراتشوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ،ج1، ص19 .

(8) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج14،ص367-368 .

كما قد تتطلب الضرورة ان يمثله الخليفة في مهمة مع الجيش وغير ذلك مما يدعو بالمعرفة بالطرق[1]. ان مهمة جلب البريد كانت تتطلب الخيل الجيدة في اماكن ومنازل البريد فاذا اوصل صاحب البريد المسرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرسا مستريحا وهكذا حتى يصل البريد الى المكان المقصود بسرعة.فمعرفة الطرق وتأمينها في ارجاء الدولة الاسلامية كافة كانا عاملين مهمين لسلامة امن الدولة ووحدتها[2].

ان استحداث جهاز البريد وتطويره وتوسيعه ومد شبكة الطرق والمواصلات اديا الى تولد دافع لظهور كتب عدة تعالج هذه الناحية ونالت اهتمام المؤلفين لتأليف كتب عدة لمعالجة هذا الموضوع في (المسالك والممالك)، ومنها مؤلفات جغرافية شهيرة وبعضها يحمل هذا العنوان ابن خرداذبه (ت30هـ/912م)، و الاصطخري (ت 346هـ/ 957م)، و ابن حوقل (ت367هـ/977م)[3] وغيرها .

1. البعثات والسفارت الرسمية .

نتيجة لاتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية حتى المحيط الأطلسي غربا والصين شرقا حتم على الخلفاء والحكام المسلمين إرسال السفارات الى البلدان المجاورة لهم او البعيدة لاقامة علاقات معها وتحسين وتمتين روابطها مع شعوب تلك المناطق[1] وكان الموفد بمثابة الناطق باسم الخلافة او الملك او السلطان وله صلاحية إجراء المفاوضات وعقد المعاهدات وابرام الهدنة والصلح[2].

لقد اهتمت ادارة الدولة العربية الاسلامية بارسال السفارات الى بعض الدول منذ الحقب الاولى لقيامها، لادراكها اهمية السفارات في توضيح مواقفها ،وسياساتها الخارجية، ولتمتين علاقاتها بالدول الاخرى، منها السفارات التي اوفدت من اليمن[3] الى الحيرة[4] وغيرها من السفارات التي عثر في اليمن على نقوش تاريخية لها[5].

---

[1] اولا ينظر قدامة بن جعفر ابو الفرج الكاتب البغدادي،نبذة من كتاب الخراج،وضعه الكتابة،(بغداد–د.ت)،ص184.
[2] القلقشندي ، صبح الاعشى، ج14، ص367-368 .
[3] نفيس ، الفكر الجغرافي ، ص40 .
[1] الفراء، الفكر الجغرافي ، ص147.
[2] التابعي ، محمد ، السفارات في الاسلام ،(دمشق –1975) ،ص84-85.
[3] علي، جواد ، تاريخ العرب قبل الاسلام، ج4، بغداد –1953،ص58.
[4] الحيرة : قاعدة الملوك اللخمينيين تقع بين النجف والكوفة في العراق وكان اهلها من المسيحيين النصاطرة ، فتحها خالد بن الوليد سنة 12هـ/633م ، المنجد في الاعلام،ص263.
[5] نيلسن، دتليف وآخرون، التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسين علي (القاهرة–1958)،ص110.

استخدم عرب الجزيرة السفراء لحقن الدماء كما حدث في حرب البسوس[6] وداحس والغبراء [7] وغيرها من السفارات .

وتنشط السفارات بشكل اكبر وتصبح اكثر فعالية في عهد الرسول للدعوة الاسلامية وتوحيد شعوب العالم تحت لواء الاسلام، فقد اوفد الرسول الاكرم (ρ)، السفراء الى ملوك العالم من العرب والعجم، ومن هذه السفارات السفارة التي ارسلها (ρ) الى هرقل امبراطور الروم سنة 6هـ/627م لدعوته للاسلام واوكل امر هذه السفارة الى الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي [1] يحمل رسالته (ρ) داعيا اياه للاسلام وقد اتسمت هذه السفارة بروح سياسية هادئة وحلم كبير كما يقول اليعقوبي[2]. بعدها توالت السفارات الى بلدان عدة، اما الغرض فهو نشر الدين الاسلامي وتحسين العلاقات واواصر الصداقة مع الدول المجاورة. لم تقتصر هذه المبادرات على الدولة العربية الاسلامية بل سعت الدول الاخرى للاتصال بها لعدها اقوى دولة في ذلك الوقت فقد اهتمت الصين باقامة علاقة جيدة مع الدولة العربية الاسلامية ومن المحتمل ان يكون الامبراطور قد اوصى سفيره لتبيين مدى اتساع وقوة الدولة وكان ذلك في سنة 31هـ/651م وقيل ان الخليفة عثمان (23-35هـ/643-655م) ارسل احد القواد ليرافق السفير الصيني عند رجوعه الى بلاده، وتعد هذه وفادة اول سفير من المسلمين الى الصين [3].

وتستمر السفارات باتجاه الشرق والغرب وشمالا وجنوبا منها السفارة التي ارسلها الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م) الى ملك الروم جستنيان الثاني في سنة 66هـ/685م وعلى اثرها عقد هدنة بين الدولتين[4]. ان هذه السفارات وغيرها ساهمت في اغناء المعرفة الجغرافية من خلال ما قدمته من معلومات دقيقة ومتنوعة عن البلدان التي ارسلت اليها،

---

(6) حرب البسوس: هي الحرب التي حدثت بين بني وائل وبني تغلب وقتل فيها كليب، قتله جساس بن مرة ، وظلت الحرب قائمة نحو اربعين سنة، ويروى ان عمر بن هند توسط بينهما، فأصلح بينهما واخذ رهائن من كل حي من الحيين 100 غلام من اشرافهم فكانوا يصحبونه في السلم والحرب. ويروي فريق من الاخباريين ان الذي توسط لعقد الصلح هو المنذر بن ماء السماء. لمزيد من المعلومات ينظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العروبة قبل الاسلام،ج2، ص355،80، ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ،ج1، دار صادر، بيروت-1965، ص502-687.

(7) داحس والغبراء: هي الحرب التي حدثت بين داحس والغبراء وهم اولاد عمومة واستمرت لمدة اربعين عاما، وتوسط لفض الحرب سفيران هما: هرم بن سنان والحارث بن عوف، لمزيد من المعلومات ينظر :علي ، المفضل في تاريخ العرب، ج4، ص355.

(1) دحية الكلبي: هو احد رسل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ارسله لايصال كتابه الى هرقل ملك الروم، اسلم قبل بدر ولم يشهدها، وكان يشبه جبريل، يقول الرسول (ρ) بأن جبريل يأتيه بصورة دحية لجمال صورته ، شهد اليرموك وسكن المرة وبقي الى زمن معاوية بن ابي سفيان وكانت وفاته سنة 60هـ/679م. الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان قايماز ابو عبد الله ، سيراعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم، ج2، ط9، بيروت–1993، ص550-556.

(2) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر العباسي، تاريخ اليعقوبي،ج2، دار صادر (بيروت–د.ت)، ص71.

(3) Chavannes (E)K Douments sur les Tou-Kine Sures occidentaux; Petersburg –1930,P.172; السامر، فيصل، السفارات العربية الى الصين في العصور الوسطى الاسلامية، ع2، مجلة الجامعة المستنصرية –1971، ص340.

(4) ابن الفراء، ابو علي الحسين بن محمد، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة-1947)، ص13؛ العدوي، ابراهيم احمد، الامويون والبيزنطيون البحر المتوسط بحيرة اسلامية، ط2، (القاهرة-1963)، ص283.

فقد اهتم افرادها بتدوين ما يثير انتباههم حول القضايا الجغرافية او الاجتماعية او الدينية او ما شابه[5].

2- الاقتصاد .

تنوعت اهمية الرحلات التجارية رحلة الايلاف قال تعالى (لِإِيلفِ قُرَيْشٍ إِلفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[2] فقد كانت لقبيلة قريش رحلتان، رحلة الصيف الى الشام، ورحلة الشتاء الى اليمن[3].

ولاهمية هذه الرحلة فقد عملت قريش علىارسال ساداتها لاخذ العهد ممن تمر تجارتها عليهم. من اشراف القبائل من العرب وملوك اليمن والحبشة وملوك الروم في الشام [4].

وعندما ظهر الاسلام، وقامت الدولة العربية الاسلامية نشطت الحركة التجارية العربية الاسلامية فلم تعد تشتمل الديار الاسلامية فقط بل صارت ذات تجارة عالمية طالت اراضي نائية وبعيدة عن اراضيها[5] ذلك ان تشريعات الاسلام نظمت بشكل ممتاز ودقيق العمل التجاري وشاركت في تنشيطه الى حد كبير[6]. وما ان حل القرن الرابع الهجري حتى بسطت التجارة الاسلامية نفوذها على حركة التجارة العالمية ووصلت الى مناطق شاسعة، ففي اسيا تعامل التجار العرب المسلمون مع بلاد الروس والبلغار ونشطت أكثر تجارتهم مع الصين والهند ومختلف جزر جنوب شرق اسيا اما مع القارة الافريقية فوصلوا الى مناطق نائية في منطقة السودان الغربي[1] او في ساحل شرق افريقيا [2] .

نتج عن حركة التجار هذه انشاء وتطوير العديد من المستوطنات والمستقرات العربية الاسلامية ونشروا الأسلام في اغلب مراكزهم التجارية[3].

---

[5] اسود ، الرحلة وأثرها في ازدهار المعرفة ، ص14.
[2] سورة قريش ، آية 1-4.
[3] الطبري ، البيان في تفسير آي القرآن ،ج3، ص305 –309.
[4] ابن الفراء ، رسل الملوك ، ص162.
[5] ابو سعد ، ادب الرحلات ، ص18.
[6] عثمان ، شوقي عبد القوي ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، سلسلة عالم المعرفة151. (الكويت –1990) ، ص70-71؛ متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ج2، (تونس-1986)، ص786.
[1] منها مدينة جني Genne وتمبيكنو Tinbukto وولاية ملي Melle ويسكنها المندنجو، لمزيد من المعلومات حول السودان الغربي ينظر: و. ارنولد، توماس، الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابد واسماعيل النحراوي، ط3، (القاهرة –1970)، ص355-360 .
[2] المصدر نفسه، ص377-381 .
[3] حميدة ، اعلام الجغرافيين العرب ،ص48 .

مما مكنهم من نشر الاسلام ومعالم الحضارة العربية الاسلامية في اغلب هذه الأماكن كما يشير الى ذلك ضيف [4] تعددت اغراض التجارة واختلفت دوافعها واغراضها، اذ قام التجار بدور مهم في تحقيق المعرفة الجغرافية وتدوينها في كتبهم، كما فعل التاجر البصري النظر بن ميمون[5] الذي زار الصين في القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي)وصف الطريق من خانقو الى بغداد[6] وتلاه ابو زيد الحسن السيرافي[7] الذي كتب رحلته في نهاية القرن الثالث الهجري–التاسع الميلادي، اذ وصف في كتابه (سلسلة التواريخ) الرحلة البرية الى الصين والهند عن طريق بلاد فارس كما يقول مؤنس[8] هؤلاء التجار وغيرهم لم يبخلوا بتدوين كل ما عاينوه وشاهدوه عن البلدان التي زاروها وبدقة متناهية، تحقيقا للروح العلمية التي يحملونها ولكي يكون ابناء بلدهم على معرفة بها [1].

3. الحج الى بيت الله الحرام.

رغم توافر السبل السالكة وترامي اطراف العالم الاسلامي الا ان الحج آنذاك لم يكن سهلاً. اذ كانت الرحلة للحج تستغرق شهورا ومن بين الحجيج ممن تتوق نفسه الى تسجيل ما يراه في طريقه وما تقع عليه عيناه وما يصادفه من انماط اجتماعية وظواهر طبيعية تدفعه في نهاية الامر الى تدوينها[2] وفي هذا الصدد ذكر ياقوت الحموي في مقدمة كتابه معجم البلدان قوله: (... ومن ذا الذي يستغني من اولي الابصار عن معرفة اسماء الاماكن وتصحيحها وضبط اصقاعها وتنقيعها، والناس في الافتقار الى علمها سواسية، وسر دورانها على الالسن في المحافل علانية لان من هذه الاماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائرين ومعالم الصحابة التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ومشاهد للاولياء والصالحين ومواطن سرايا سيد المرسلين) [3].

---

[4] الرحلات ، ص49 .

[5] النظر بن ميمون: هو تاجر من اهالي البصرة عاش في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث الهجري يدعى النظر بن ميمون السيرافي، ابي زيد حسن وسليمان التاجر، اخبار الصين والهند، تحقيق: يوسف الشاروني، اخبار الصين والهند، الدار المصرية/اللبنانية (القاهرة –1999)، ص16.

[6] مال الله، علي محسن عيسى، ادب الرحلات عند العرب في المشرق، مطبعة الارشاد، (بغداد–1978)، ص23 .

[7] أبي زيد الحسن السيرافي: لم اعثر له على ترجمة سوى انه لم يكن الا هاويا جغرافيا يستقطر المعلومات عن الهند والصين عاش في اواخر القرن الثالث الهجري. السيرافي، اخبار الصين والهند، ص11،9.

[8] الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، ص11.

[1] ابو الحب، جليل، الحيوان في رحلة ابن بطوبطة، من بحوث الندوة القومية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب، ج2، (مركز احياء التراث العلمي العربي ،جامعة بغداد، 13-15 شباط ، 1989) ص9.

[2] ابو الحب، الحيوان في رحلة ابن بطوطة، ص1.

[3] شهاب الدين، ابو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، ج1 (ليدن–1885)، ص3.

ركز الكثير من هؤلاء الرحالة عموما على المشاهد الدينية والمزارات والمساجد[4] وكان لهم اهتمام كبير بلقاء علماء الدين والزهاد والمتصوفين [5].

وقد وردت في كتاباتهم معلومات بشرية واقتصادية متنوعة فضلا عن المعالم الوصفية للمدن والبلدان التي زاروها بصورة عرضية [1] هذه المعلومات اتسمت بالرقي لما حملته من قيمة علمية ومن هذه الروايات. رحلة الهروي (ت611هـ/1214م)في كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات،و رحلة ابن جبير البلنسي الاندلسي (ت614هـ/1217م) في كتابه

(رحلة ابن جبير) والرحلة الغربية للرحالة ابو محمد العبدلي البلستي التي بدأها في عام (688هـ/1289م) ثم رحلة ابن بطوطة الطنجي (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) (ت771هـ/1369م).

4. السفر .

وقال تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[3]

وقوله تعالى (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قرىً ظَهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءآمِنِينَ) [4].

كما شجع الرسول الاكرم (ρ) على السفر بقوله (سافروا تصحوا وتغنموا) [5] ونقصد بالسياحة التجوال في الارض بعيدا عن أي التزام او غرض غير غرض الرحلة ذاتها ويتمثل هذا الغرض في الرغبة للمعرفة والاطلاع او زيارة الاقطار والامصار واكتساب الخبرة [6].

اذا يمكن ان اعتبار رحلة السياحة ميلا فطريا للبحث والاستطلاع اما لغرض الدراسة او الوقوف على ما للبلاد الاخرى من سمات وخصائص[1]. كان للجغرافيين العرب والمسلمين اهتمام بالاسفار والتجوال في مختلف انحاء العالم المعروف آنذاك لجمع معلوماتهم القائمة على

---

[4] المشاهد الدينية والمزارات والمساجد: وهي مواضع يتعبد بها، فالمسجد اسم للبيت ومحراب البيوت ومصلى الجماعات اما المشاهد الدينية فهي مراقد الائمة والصحابة وهي اماكن للعبادة في الوقت نفسه، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص494.

[5] الزهاد والمتصوفين:ان المسلمين بعد الرسول لم يتسم افاضلهم سوى بصحبة الرسول (ρ) فقيل لهم الصحابة اما في العصر الثاني من صحب الصحابة التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب قيل لخواص الناس ممن لديهم شدة عناية لامر الدين الزاهد والعباد ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفرق فنفر خواص اهل السنة المراعون انفسهم مع الله باسم التصوف، اصلها العقوف على العبادة الانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد عما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. القنوجي، أبجد العلوم، ج2، ص154-155.

[1] خصباك ، شاكر ، الفكر الجغرافي وتطوره وطرق بحثه، (جامعة بغداد –د.ت)، ص64.

[3] سورة العنكبوت ، آية 20 .

[4] سورة سبأ ، آية 18 .

[5] القاضي، ابو عبد الله محمد بن سلام، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ج1، (بيروت –1986) ، ص364.

[6] الشامي ، الرحلة عين الجغرافية المبصرة ، ص97 .

[1] حميدة ، اعلام الجغرافيين ، ص37 .

المشاهدة والتحقيق الشخصي مما يزيد من قيمة المعلومات التي يوردونها [2] . ولعل الاشارة الى واحدة منها ليبين بوضوح تام هذه الروح العلمية الدقيقة التي تمتع بها الرحالة العرب والمسلمون، ففي الغرب العربي وفي حدود القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي قام الفتية الغورون برحلتهم التي عزموا بها على ركوب بحر الظلمات[3]، ليعرفوا مجاهله والى اين ينتهي فأبحروا مع الريح الشرقية مدة احد عشر يوما الى موضع صخري مخيف شديد الظلمة. ثم اتجهوا جنوبا مدة اثنا عشر يوما الى ان بلغوا ما سموها (جزيرة الغنم)[4] لوجود قطعان كثيرة منها ثم توغلوا اثنا عشر يوماً اخرى في الاتجاه نفسه، حتى بلغوا جزيرة اخرى فأسرهم أهلها وكانوا ذوي بشرة حمراء وشعرهم قليل ناعم طويلو القامة، وعندما بدأ هبوب الريح الغربية أمر سيد الجزيرة بترحيلهم معصوبي الأعين عبر البحر، وبعد ثلاثة ايام وصلوا جنوبي مراكش على مسيرة شهرين من بلدهم، وكان موضع نزولهم ميناء اسفي[5].

لقد اصبحت الرحلة في طلب العلم ضرورة من لوازم طريق العلماء ومنهجهم في التحصيل العلمي فكان طالب العلم يأخذ عن شيوخ بلده ثم يرحل الى البلدان الاخرى للاخذ عن علمائها وللاستفادة منهم ويعلق لنا ابو الصلاح بهذا الخصوص قائلاً: (... واذا افرغ من سماع الموالي والمهمات التي ببلده فليرحل الى غيره ...)[1]. وقد أقتفى الكثير من الخلفاء اثر من سبقهم في حبهم للعلم والعلماء ورغبتهم الشديدة في طلبه، عرف عن الخليفة ابو جعفر المنصور تقديره واجلاله للعلم والعلماء (قيل للمنصور: هل يقي من لذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال: بقيت خصلة، أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث...فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر فقال لستم بهم انما هم الدنسة ثيابهم[2] المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الافاق ونقله الحديث)[3].

وذكر عن الخليفة الرشيد انه رحل بنفسه يصحبه ولداه الامين والمأمون لسماع كتاب الموطأ على الامام مالك بن أنس (ت179هـ/795م)[4].

---

[2] سوسه ، التشريف الادريسي ، ج1 ، ص101.

[3] بحر الظلمات: وهو المحيط الاطلسي حاليا يفصل بين قارتي آوربا وامريكا، الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، دار الفكر (بيروت–1996)، ص730 .

[4] جزيرة الغنم : تقع في الجزء الشمالي الشرقي من بحيرة نيطس ، حيث نهر يوجد نهر الغنم ويقع ضمن بلاد السرير ، ويمر من جنوبه نهر اتل فبقى بينهما جزيرة عرضها نحو ثلاث مراحل تدعى جزيرة الغنم ، ابي الفداء ، تقويم البلدان ، ص204.

[5] اسفي: ميناء في مراكش على الشاطئ الاطلنطي على بعد أميال قليلة من رأس كنتين عند مدخل خليج متع، وهي ليست قديمة العهد بدأ ذكرها منذ القرن التاسع الهجري دون ان ينسب اليها شيء من الاهمية، وهي ميناء كثير الحركة ولكنه غير مأمون الطرقات، وقد احتل من قبل البرتغال عام 913هـ/1507م . دائرة المعارف الاسلامية،م2، ص239 .

[1] الشهرزوري، ابو عمرو عثمان بن لصلاح، علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عنتر، المكتبة العلمية (بيروت-د.ت)، ص222؛ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عنتر، دار الكتب (بيروت-د.ت)، ص16.

[2] الدنسة ثيابهم: لكثرة أسفارهم لا يفرغون لغسلها فتبقى دنسة بسبب ذلك. الرازي، مختار الصحاح، ص212.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص126.

[4] مالك بن انس: الامام ابو عبد الله مالك بن انس بن أبي عامر التميمي الاصبحي المدنيمن بيت الملوك من قبيلة حمير القحطانية امام دار الهجرة واحد ائمة الاعلام وصاحب المذهب المالكي، أخذ العلم في ربيعة الراس فقيه اهل الحديث كانت وفاته بالمدينة الشريفة ودفن في البقيع ومن اشهر كتبه الموطأ، ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد، وفيات الأعيان ولأبناء هذا الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة (بيوت-1968)، ج1، ص555، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى،

ونستلخص عن الرحلة العلمية نتائج مهمة ، فخبرات صاحبها تزيد ومعارفه تتنوع وتنضج قدراته وتتبلور آراؤه، وكل ذلك يحدث نتيجة الترحال والتتلمذ على يد الشيوخ وكلما زاد عدد الدارسين على يديه كلما كانت النتائج الايجابية واضحة ودقيقة [5] . قال الامام علي (ψ) (ت41هـ) (ليست الرؤية كالمعاينة مع الابصار، فقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من استنصحه)[6].

ويمكن ان نعزو سبب نشاط الرحلة في تلك الحقبة التاريخية فضلا عن ما سبق ذكره الى ندرة الكتب بسبب اعتماد نسخها على اليد البشرية ، ووجودها في خزائن[1] معينة اما خاصة او عامة[2]، زيادة على تعدد المراكز العلمية في انحاء العالم الاسلامي[3].

اذ كان المسلمون واهل الذمه وغيرهم الذين يسكنون داخل حدود الدولة الاسلامية يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية حيث تستلزم معرفة الاماكن والمناطق لذلك كان اول ما ألفه العرب في الجغرافية ذكر ابرز الاماكن العربية والمعالم الجغرافية[4].

الرحلات في التاريخ العربي الاسلامي

لا تتوفر في مصادرنا القديمة معلومات كافية عن بعثات علمية زمن الرسول (ρ) الا ما ندر من معلومات عن تلك الرحلات منها الرواية التي يذكرها ، الابشيهي (.. بعثنا رسول الله (ρ) – مجموعه من الصحابه - الى ساحل البحر وأمر علينا ابا عبيدة (ψ) نلتقي عير قريش وزودنا جراب من تمر لم يجد لنا غيره، فكان ابو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيئا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر[5] فأقمنا شهراً نأكل منها ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد راينا نغترف من الدهن الذي في وقب عينيها بالقلاق ونقطع منه القطعة كالثور ولقد اخذ منا ابو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينيها واخذ اضلاعها فاقامها، ثم رحل اعظم بعير معنا فمر من

ج1، (القاهرة-1906)، ص57؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (مصر-1952)، ص294.

[5] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، م1، (بغداد-1941)، ص39.

[6] علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ج4، ص68.

[1] خزائن: هي جمع خزانة وهو اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء، واختزنه احرزه وجعله في خزانته. ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص139.

[2] حميدة، أعلام الجغرافيين، ص39.

[3] زيادة ، نقولا ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، (بيروت-1982)، ص15.

[4] زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ،م3،ج3، ط2، (بيروت –1967)، ص106.

[5] يستعمل هذا العنبر في صناعة العطور وما زال يحظى بأهمية خاصة نظراً لقوة رائحته. محمد، ابتهاج، العنبر عطر الحوت، جريدة القادسية، جريدة يومية، ع7418، السنة الثانية والعشرون، (بغداد—2002/4/29)/ ط1،ص6.

تحتها وتزودنا من لحمها ، فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله (ρ) ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمها فتطعمونا فأرسلنا له منه فأكله)[1]. ورأى كرانشكوفسكي اقرب الى الواقع في ان هذه القصة خيالية ولا تمت للواقع بصلة[2].

هنالك رواية اخرى تذكر اوتسند الى عبادة بن الصامت، هي (... وجهني ابو بكر (ψ) سنة استخلف الى ملك الروم لادعوه الى الاسلام او آذنه بحرب ...)[5] .

قال (.. فخرجنا جئنا جبلة بن الايهم وهو بالغوطة فادخلنا اليه فاذا هو على فراش مع السقف فأجلسنا بعيدا وارسل الينا رسولا نكلمه، فقلنا: لا والله لا كلمناه برسول فأذنا منه فكلمه هشام ودعاه الى الله فاذا عليه ثياب سود، فقال له هشام ما هذه المسوح التي لبستها؟ قال: لبستها وعلي نذر الا انزعها حتى اخرجكم من الشام، قلنا: الله لنخرجنّك من فرشك ومن دار مملكتك ونملك الملك الاعظم ان شاء الله اخبرنا بذلك نبينا (ρ) قال: (اذا انتم السمراء، قلنا وما السمراء؟ قال: الذين يصومون النهار ويقومون الليل، قلنا فنحن هم، قال: وكيف صومنكم؟ فأخبرناه بذلك، قال: فرطوا لأصحابه وقال: قوموا وعلاه سواد ثم بعث معنا رسولا الى ملك الروم فلما دنونا من مدينته ، قال الذين معنا ان دوابنا هذه لاتدخل مدينة الملك وكنا على رواحل فان شئتم حملناكم على براذين[1] وبغال قلنا لا والله لا ندخل الا عليها فأرسلوا الى الملك انهم يأبون، فارسل ان خلوا عنهم فدخلنا معتمين علينا السيوف على الرواحل واذا غرفة مفتوحة ينظر منها الينا وأقبلنا حتى نخنا[2] تحت الغرفة، قلنا لا إله الا الله والله اكبر، قال والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى كأنها عذق سعفة هز بها الريح وارسل انه ليس لكم ان تجهروا بدينكم على بابي فارسل ان ادخلوا فدخلنا واذا عليه ثياب حمر واذا كل شيء عنده احمر والبطارقة حوله فدنونا منه فاذا هو يفصح العربية فقال: ما منعكم ان تحيوني بتحية نبيكم فان ذلك اجمل بكم، قلنا تحيتنا لاتحل لك وتحيتك التي تحيا بها لاتحل لنا... وخرجنا من عنده وقد امر بمنزل حسن ونزل كبير فمكثنا ثلاثاً ثم أرسل الينا ليلاً فدخلنا عليه فاذا ليس عنده أحد فاستعادنا القول فاعدنا عليه ودعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبه فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتاً فأخرج منه خرقة سوداء حريراً فنشرها فاذا فيها صورة واذا رجل ضخم العينين عظيم الآليتين طويل العنق، فقال: أتدرون من هذا قلنا: لا، قال هذا نوح عليه السلام...ويمضي في عرض صور الأنبياء والرسل ... قلنا: ومِن أين هذه الصور هكذا فانا نعلم ان هذه الصور على ما صورت لان صورة نبينا محمد (ρ) مثله. قال: ان آدم عليه السلام سأل ربه عز

---

[1] محمد بن أحمد بن أبي الفتح، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، (مصر-1952)، ص65-153.

[2] تاريخ الأدب الجغرافي: ج1، ص56.

[5] المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أحمد محي الدين عبد الحسين، ج2، مطبعة السعادة، مصر-1958)، ص162.

[1] براذين: الدابة. الرازي، مختار الصحاح، ص47.

[2] نخنا: تعظمنا وتكبرنا، النخوة الكر والفخر، المنجد في اللغة، مجموعة من كتاب العالم العربي، المطبعة الكاثوليكية (بيروت-1978).

وجل أن يريه أنبياء بنيه فأنزل عليه صورهم ..)[1]. والجزء الأخير من هذه الرواية يطابق الرواية التي أوردها المسعودي في مروج الذهب[2] وان اختلف عنها في بعض التفاصيل مع عدم ايراده الجزء الأول منها. وفي زمن عمر بن الخطاب بعث شهربراز صاحب الباب برجل قبل سنتين نحو السد لينظر لي ما حاله ومن دونه، موفراً له كل ما يحتاجه من مال وتوصيات لكل ملك يمر فيه، قال ".. فلما انتهى الملك الذي السد في ظهر أرضه، كتب له الى عامله على ذلك البلد فأتاه فبعث معه بازيار، معه عقابه..فلما انتهينا اذا جبلان بينهما سد مسدود حتى ارتفع على الجبلين بعدما استوى بهما. واذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده..فقال لي البازيار: على رسلك أكافئك، انه لا يلي ملك بعد ملك الا تقرب الى الله تعالى بأفضل ما عنده من الدنيا فيرمي في هذا اللهب، فشرح بضعة لحم معه وألقاها في ذلك الهوي وانقضت عليها العقاب، ..فخرجت علينا باللحم في مخالبها، واذا فيها ياقوتة فأعطانيها وهي هذه ..))[3].

ويمكن أن نعد أول رحلة تثقيفية أرسلت من الحجاز الى الشام في امارة يزيد بن أبي سفيان، كتب هذا الى عمر بن الخطاب: ((.. ان أهل الشام قد كثروا وربلوا وملأوا المدائن واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعنى يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم)) فأرسل اليه معاذاً وعباده وابا الدرداء. فصار الأول والثاني الى فلسطين، وصار الثالث الى دمشق[1]

عصر الدولة الاموية

بدات الرحلات في تحصيل العلم على يد الامير خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ، فقد اهتم بالتحصيل العلمي لذا بدأ بتحصيل الكتب الخاصة بعلم الكيمياء وترجمتها الى العربية، وهذه تعد أول عملية ترجمة –الا انها اولية– في الاسلام[2]. والى جانب الكيمياء كان له اهتمام بعلم الفلك والنجوم وقد أنفق الأموال في طلبه لهذه العلوم وهنالك روايات في مصادرنا القديمة منها

---

[1] ابن الفقيه الهمذاني، ابو بكر بن محمد بن اسحق، مختصر كتاب البلدان (لندن–1885)، ص143.
[2] المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص162.
[3] الحميري، محمد أبو عبد الله عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، (بيروت–1975) ص309-310.
[1] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي حجر أبو الفضل الشافعي، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج3، دار الجبل (بيروت–1992)، ص626، علي، محمد كرد، الاسلام والحضارة العربية، ج1، ط3، (القاهرة-1968)، حسن 17-171.
[2] حاجي خليفة، كشف الظنون، م2، ج1، ص681.

للمسعودي (346هـ/957م) تدل على قيام خالد بمحاولات عدة للاتصال بالدول المجاورة عن طريق اتصال الدولة الاسلامية بهم[3] للحصول على المصنفات اليونانية والسريانية[2].

وهذه احدى الروايات التي تقترن باسم الامير عبد العزيز بن مروان في أثناء ولايته لمصر، فقد أتاه رجل وذكر له أنه رأى في الصحراء الغربية عندما كان يبحث عن جمله الضال، مدينة خربة فيها شجر تحمل من كل صنف من الفاكهة وانه أكل منها وتزود، بعدها وجه عبد العزيز جماعة من ثقاته معهم الرجال وتزودوا زاد شهر ومشوا يطوفون تلك الصحارى فما وجدوا لها أثراً[4].

ومنها التي أرسلها الأمير الأموي مسلمة بن عبد الملك (ت قبل126هـ/ 743م) لزيارة كهف الظلمات التي دخلها الاسكندر ذو القرنين وحرص مسلمة بن عبد الملك في دخوله واستعد المشاعل والشموع فانطفأت مما حدا به الرجوع عنها [5].

وفي زمن يزيد بن عبد الملك(101هـ/719م)، يروي مجاهد بن يزيد[1] عندما قام هو وشخص يدعى خالد البريدي [2] بقوله: "خرجت – أي مجاهد بن يزيد - مع خالد البريدي في أيام وجه الى الطاغية سنة 102 هـ وليس معنا ثالث من المسلمين فقدمنا القسطنطينية ثم خرجنا منصرفين الى عمورية ثم اتينا اللاذقية المحترقة، في أربع ليال ثم انتهينا الى الهوية وهي جوف جبل فذكر لنا ان بها أمواتاً لا يدري ما هم وعليهم حراس فأدخلونا سرباً ... وأذا كهف ... فيه ثلاثة عشر رجلاً رقوداً على أقفيتهم على كل رجل منهم جبة لا أدري من صوف أو وبر الا انها غبراء وكساء أغبر يتقعقع كما يتقعقع الرق وقد غطى بكسائه وجهه وسائر جسده واذا هي ذوات أهداب وعلى بعضهم خفاف الى انصاف سوقهم وبعض بنعال وبعض بشمشكات والجميع جدد..فسألناهم عن أسبابهم وامرهم فزعموا انهم لا علم لهم بشيء من أمرهم غير انا نسميهم الأنبياء، قال مجاهد وخالد فيظن انهم اصحاب الكهف والله أعلم [3]، ولا نعرف من هذه الرواية سوى ما قصه علينا المقدسي [4]. وتتداخل البعثات بما تحمله من الأهداف والأغراض السياسية ومنها البعثة التي

---

[3] مروج الذهب، ج3، ص124؛ زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، م2، ج3، ص150؛ ابراهيم، فاضل خليل، خالد بن يزيد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام 62، (العراق-1984)، ص102-103.

[2] ابن النديم، ، الفهرست، ص338،

Arbuthornot, F.F, Arabic Authors, A manual of Arabian History, London-1890, P.40.

[4] المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، أخبار الزمان، ط3، (بيروت-1978)، ص250.

[5] المقدسي، احسن التقاسيم، ص146.

[1] مجاهد بن يزيد: لم أعثر على ترجمة له في مصادرنا القديمة.

[2] خالد البريدي: لم اعثر على ترجمة له في مصادرنا القديمة.

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص153-154.

[4] كراتشكونسكي، ج1، ص60؛ سوسة، الشريف الادريسي، ج1، ص104.

أرسلت الى الأتراك في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105هـ/724م) لدعوته للاسلام قال الرسول: "قد دخلت عليه وهو يتخذ سرجاً بيده فقال للترجمان: من هذا؟ فقال: رسول ملك العرب. قال غلامي: نعم، فقال: فأمر بي الى بيت كثير اللحم قليل الخبز ثم استدعاني وقال لي ما بغيتك فتلطفت له وقلت ان صاحبي يريد نصيحتك ويراك على ضلال ويحب لك الدخول في الاسلام، قال: وما الاسلام؟ فأخبرته بشرايطه وحضره واباحته وفروضه وعبادته، فتركني أياماً ثم ركب ذات يوم في عشرة انفس مع كل واحد منهم لواء وأمر بحملي معه فمضينا حتى صعد تلاً وحول التل غيضة، فلما طلعت الشمس أمر واحداً من اولئك أن ينشر لواءه ويلج به ففعل فوافى عشرة آلاف فارس مسلح كلهم يقول جاه جاه حتى وقفوا تحت التل وصعد متقدمهم فكفر للملك فما زال يأمر واحداً واحداً أن ينشر لواءه ويلج به فاذا فعل ذلك وافى عشرة آلاف فارس مسلح فيقف تحت التل حتى نشر الألوية العشرة وصار تحت التل مائة الف فارس مدجج، ثم قال للترجمان: قل لهذا الرسول يعرف صاحبه أن ليس في هؤلاء حجام ولا اسكاف ولا خياط فاذا أسلموا والتزموا شروط الاسلام من أين يأكلون ... "[1]

[1] الحموي، معجم البلدان، ج3، ص227.

الخليفة المنصور(136هـ/753م). اول من عنى بالعلوم مع براعته في الفقه، وتقدمه في علم الفلسفة[3]، واول من قرب المنجمين وعمل بعلم الفلك والنجوم [4] فقد ارسل الى بلاد الروم يطلب من امراطورها كتب الحكمة، فبعث اليه بكتاب اقليدس[5] وبعض كتب الطبيعيات[6]، واوعز بترجمة عدد من الكتب لاسيما السريانية والهندية الى العربية، وجمعها في خزانة خاصة بها[1] ويمكن ان نعده المؤسس الحقيقي لبيت الحكمة[2].

فضلا عن استقدامه كبار الاطباء الى بغداد، ففي سنة 148هـ /764م، استدعى من جند يسابور[3] رئيس الاطباء هناك الطبيب المعروف جورجيس بن بختيشوع[4] لعلاجه من حالة مرضية ألمت به، وظل بختيشوع مقيما في بغداد سنتين حتى اعتل ورجع الى دياره[5].

يعد علم الكيمياء من ضمن اهتمامات الخليفه المنصور لذا عمل على ارسال البعوث الى امبراطور الروم لجلب ما عندهم من كتب الكيمياء [6]، فقد اوفد عمارة بن حمزة [7] الى ملك الروم، ويروي ما حدث له هناك بقوله (... فانتهيت الى مكان يحجب منه الرجل) على مسافة

---

(3) ابن صاعد الاندلسي، ابو القاسم صاعد بن احمد، طبقات الامم، (مصر -د.ت) ، ص75.

(4) اليعقوبي ، احمد بن اسحق ، مشاكلة الناس لزمانهم ، (بيروت -1962)، ص23.

(5) اقليدس: بن نوقطرس بن برنيقس (306-283ق.م)، من علماء الاسكندرية، عنى بدراسة الرياضيات وقد عرفه العرب وأخذوا عنه الرياضيات، واجتهد بعلم الهندسة على ايام بطليموس الاول ووضع مبادئ هذا العلم وله كتب كثيرة منها (الاصول، اصول الهندسة...). ابن النديم، الفهرست، ص371؛ زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ص108-109؛ ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية، ط3، (بيروت -1975) ص427.

(6) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، م2، ص679.

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص269-271.

(2) الديوه جي، سعيد، بيت الحكمة، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (بغداد-1972)، ص7.

(3) جنديسابور: احدى مدن بلاد فارس تعد المقر الشتوي لملوك الفرس ، وعندما طرد الامبراطور جستنيان الفلاسفة اليونانيين من اثينا بعد اغلاق مدارسهم عام 529م لجأوا الى الامبراطورية الفارسية التي رحبت بهم وأسكنتهم مدينة جنديسابور الواقعة في قلب الامبراطورية الفارسية ، وهناك استأنف العلماء عملهم واسسوا مدرسة للطب في تلك المدينة ظلت حية ونشطة حتى زمن الخلفاء العباسيين حيث نجد عددا من الاطباء والعلماء والنقلة ينتمون الى تلك المدينة وخاصة ال بختيشوع، اوليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة: وهب كامل، مراجعة: زنكي، سلسلة الالف كتاب 395 (القاهرة-1962)، ص19.

(4) جورجيس بن بختيشوع :بن جبرائيل بن بختيشوع الجنديسابوري، عرف في صدر الدولة العباسية طبيبا خاصا بالمنصور، وكان فاضلا في صناعة الطب وبقي يخدم المنصور الى ان توفي سنة 152هـ، وهو اول من قدم من آل بختيشوع ثم تلاه ولده بختيشوع ثم احفاده من بعده، على اثر استقدام خلفاء بني العباس لهم. ابن جلجل، طبقات الاطباء، ص64؛ ابن النديم، الفهرست، ص412.

(5) القفطي، تاريخ الحكماء، ص159-160؛ ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، ط2، (بيروت-1958)، ص124؛ ماري بن سليمان، اخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل، تعليق : يحيى بن الاخما بن ابي منصور المتطبب ، (روما-1899) ،ص68 .

(6) ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص54.

(7) عمارة بن حمزة : لم اعثر له على أي شارة في مصادرنا القديمة سوى هذه الرواية التي يذكرها ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان ، ص137-139.

بعيدة فجلست حتى اتى الاذن...وصلت داره فادخلت دارا واذا على طريقي اسدان عن جنبي الطريق وطريقي عليهما لا اجد من ذلك بدا فقلت لابد من اموت عاجزا فحملت نفسي فلما صرت بينهما سكنا فجزت ودخلت دارا اخرى ... فانتهيت الى الملك فسلمت عليه والترجمان بيني وبينه فأديت الرسالة وأوصلت الكتاب فأمرني بالجلوس وسألني عن الخليفة وعن اشياء من امر الاقاليم ثم ... امرني بالانصراف والبكور عليه .. فركبت معه يوما فانتهينا الى حائط عليه باب وحفظه فدخلنا فاذا اصول طرفاء[1] فقال: اتعرف هذه الشجرة؟ فقلت: لا، وظننت انه عنده فيها معنى، فقال: هذه شجرة ينفع دخانها من الخراج، وتمري الطعام ... فاذا مقدار قفيز من ارض فيه كبر[2]، ... فقال: هذا نبت وهو جوارشن ينفع من اصابة الحرق ويدخل في ادوية الجراحات، ... فلما ازف خروجي واجاب عن الكتاب ، قال : امض بنا الى قصري ، فخرجنا حتى انتهينا الى قعر عليه حفظة فدخلنا فاذا بيوت مختومة فامر بباب منها ففتح فاذا جرب بيض منضدة حوالي البيت قال اشر الي ما شئت منها فاشرت الى جراب منها فأمر ببرينه[3]. ملئت منها ثم امر بختمها ثم استفتح بابا اخر ... وانصرفنا الى القصر فدعا بكير ومنفاخ ورطل[4] نحاس ورطل رصاص فأمر بأحدهما فأذيب وأمر أن يلقي عليه من الدواء الابيض ما يحمل ظفر الابهام افرغه فخرج منه فضة بيضاء، ثم اذيب النحاس وألقي عليه من الاحمر مثل ذلك فخرج ذهبا احمر، فقال أعلم صاحبك ان هذا مالي وأما الخيل والرجال فأنك تعلم انهم اكثر وأكبر).

وأكمل حديثه بقوله : اعجب ما رأيت في مجلسه انه كان اذا اراد ان يصرف الناس خرجت في ظهر كل رجل كف من الحائط فيدفعه فيعلم انه قد امر بالقيام[1].

وسار ابنه الخليفة المهدي (158- 169هـ/774-786م) على نفسه نهج والده في استقدام الاطباء والاستفادة منهم اذ استدعى الطبيب بختيشوع بن جرجيس[2] لتطبيب ولده الهادي [3].

---

(1) طرفاء: نوع من الشجر، ويقال للشجرة الواحدة (طرفة). الرازي، مختار الصحاح، ص390.

(2) كبر: شجيرة صغيرة شائكة من فصيلة الكبريات. المنجد في اللغة، ص670 .

(3) برنيه: اناء من خزف. الرازي، مختار الصحاح، ص50 .

(4) رطل: وهو احد الاوزان ويقدر بنصف المن. الرازي، مختار الصحاح ، ص246.

(1) ابن الفقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ص137-139.

(2) بختيشوع بن جورجيوس : ويكنى ابا جبرائيل ، والبختيشوع معناه عبد المسيح في اللغة السريانية البخت العبد ويشوع عيسى عليه السلام وهو ولد جورجيوس بن بختي23ثشوع عرف صناعة الطب مثل ابيه وقد خدم خلفاء بني العباس بعد استقدامه من قبلهم وله مؤلفات عديدة في الطب منها كناش مختصر، كتاب التذكرة، ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص186-187.

(3) القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف، تاريخ الحكماء، مكتبة المثنى (بغداد-د.ت) ص101.

في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) توسعت قاعدة الرحلات وتطورت بواعثها اذ كان رشيدا حليما سخيا في اعطيته للعلماء وكان ذا رأي سديد[1] ومحبا للشعر والشعراء[2] لذا سعى الخليفه الرشيد على استجلاب الكتب القديمة من انقرة [3] وعمورية[4] بعد فتحها من قبل العرب المسلمين وقد أوكل الى يوحنا بن ماسويه[5] وآخرين بدراستها تعريبها من اللغة اليونانية الى اللغة العربية. مغدقا عليهم العطايا السخية[6]، كما انفذ الرسل الى الامبراطورية الرومانية لشراء الكتب اليونانية المختلفة[7]، وهي سياسة حكيمة أدت نتائجها الى ترجمة العديد من الكتب الاجنبية في شتى العلوم وأغلب ما حصلوا عليه من الكتب الطبية[8].

ولم يكتف الخليفة العباسي هارون الرشيد على استجلاب الكتب، فقد اتم ما بدأه جده المنصور من استحضار ال بختيشوع في خدمة بني العباس، ففي سنة 171هـ/787م مرض

الرشيد عانى من ألم في رأسه فاستشار يحيى بن خالد[1] فأشار عليه بالطبيب بختيشوع بن جورجيس فاستقدمه وكرمه وجعله رئيس الاطباء[2] ثم انضم اليه ابنه جبرائيل بعد ان عجز والده عن معالجة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي[3] ونجح في ذلك[4].

---

[1] الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، (دمشق-1968)، ص54.

[2] ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي ، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق : مصطفى جواد، (بغداد –1970)، ص125.

[3] انقرة: اسم لمدينة انكورية من بلاد الروم، نزلتها قبيلة اياد لما نفاهم كسرة من بلادهم. البغدادي، صفي الدين بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، م1، (بيروت-1954)، ص126.

[4] عمورية : مدينة بيزنطية في اسيا الصغرى ، فتحها العرب على ايام المعتصم بقيادة الافشين 224هـ/838م بعد حصار دام 13 يوما واعملوا السيف في اكثر اهاليها وساقوا منهم ... 30 اسيرا. فلم يبق منها الا أثر. المنجد في الاعلام، ص479.

[5] يوحنا بن ماسويه: هو ابو زكريا، كان ابوه صيدلانيا في جنديسابور، وكان سريانيا نسطوريا، خدم الرشيد والامين ومن بعده المأمون جعله رئيسا لبيت الحكمة، وعاش الى عصر المتوكل وله عدة كتب في الطب منها: البرهان، البصيرة ، الكمال والتمام، كتابه في الحميات، في الفصد والحجامة ...

Ferrand, Gabriel, Relation de veyages et textes geographiques, persans et turks, ralatifs al Etremeorient, du VIII “auXVIII” sides, P34.

[6] ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت –1965)، ص246.

[7] الجميلي، رشيد، حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرن الثالث والرابع الهجري، (بغداد-د.ت)، ص88.

[8] اوليري ، علوم اليونان وسبل انتقالها ، ص208.

[1] يحيى بن خالد: ابو علي الوزير والد جعفر البرمكي ضم اليه المهدي ولده الرشيد فرباه، وأرضعته امرأته أم الفضل بن يحيى فوض اليه الرشيد أمور الخلافة وأزمتها ولم يزل كذلك حتى نكب البرامكة بقتل جعفر وسجن يحيى. مات سنة 190هـ/805م وعمره سبعين سنة. كان كريماً مضحياً ذا رأي سديد يظهر من اموره خير وصلاح. ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص204-205.

[2] القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص101.

لم يقتصر الاهتمام بالعلم وارسال البعوث لاستجلاب العلماء والكتب على الخليفة الرشيد فقط بل شاركهم في هذا عدد من الوزراء والمتنفذون وبذلوا في سبيل ذلك الاموال الطائلة. خدمه للحركة العلمية فقد عمل ال برمك[5] على بذل جهودهم لتعريف العرب بالدراسات العلمية الجديدة التي بعثت من مصادرها اليونانية وكانت يومئذ منتشرة بين المسيحيين الذين يتكلمون اليونانية وكان يحيى متحمسا لبعث العلوم [6] وتشجيع نهضتها العلمية والادبية والفنية حتى ازدهرت بين ايديهم الازدهار المعروف في التاريخ. وبذلك تكامل عصر الرشيد وبرز من بهجته وروعته[1]. فقد عمل يحيى البرمكي بترجمة العديد من الكتب من اليونانية والفارسية والهندية للعربية ككتاب المجسطي لبطليموس[2] فكان هو اول من عني بترجمته، فقام علماء بيت الحكمة بهذه المهمة خير قيام[3] فقد ارسلوا البعثات الى الهند لاستجلاب الاطباء وعلى رأسهم ابن دهن[4] وأوكلوا رئاسة بيمارستانهم[5] وأرسلوا بعثات اخرى كلفت بمهمة مزدوجة، الاولى جلب العقاقير الطبية منها والثانية تدوين اديان اهل الهند للاطلاع عليها(6) مع اشارات للمدن التي تنتج النباتات الطبية(7).

شكل تولي المأمون لمنصب الخلافة (198-218هـ/813-833م) دفعا قويا للحركة العلمية عموما وللبعثات العلمية خاصة(8). فقد عرف بأنه من اشهر خلفاء بني العباس وحامل راية العلم، كان عالما حكيما محبا للعلم والعلماء راغبا في الكتب والاطلاع(9) وجعل همه مجالسة المتكلمين والفقهاء والادباء، اذ استقدم بعضهم من بلدان عدة واجرى عليهم العطايا

---

[3] جعفر بن يحيى : كان فصيحا لبيبا ذكيا فطنا حليما وكان الرشيد يأنس به اكثر من أخيه الفضل لسهولة اخلاقه وشراسة اخلاق الفضل. ابن الطقطقي، ابن طباطبا محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية، (بيروت-1960)، ص205.

[4] ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص188.

[5] ال برمك: وهم الفرس الشرقيون وهم اسرة عريقة تميزت بالثراء اصلهم من مدينة بلخ، وديانتهم عبادة الاوثان وصفت لهم مكة وحال الكعبة فاتخذوا بيتا يقال له النوبهار ببلخ فكانت العجم تعظم ذلك البيت وتحج اليه وكان حول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه على كل خادم خدمة يوم فلا يعود الى خدمته الى الحول فسموا سادتها الاكبر برمكا أي انه من باب مكة ووالي مكة فصار كل ولي منهم ذلك سمي برمكا، اعتنقوا الاسلام زمن عثمان بن عفان. ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص322-323.

[6] اوليري ، علوم اليونان ، ص207.

[1] الجومر، عبد الجبار، هارون الرشيد ، ج1، (بيروت-1965)، ص447.

[2] يعتبر كتاب المحبسطي اقدم كتاب في الفلك ومعناه الاكبر الفه بطليموس سنة 148ق.م وعربه من اليونانية الى العربية حنين بن اسحق. ابن زيدون، سرح العيون، ص214؛ المنجد في الاعلام، ص634.

[3] القفطي، تاريخ الحكماء ، ص97-98.

[4] ابن دهن: لم اعثر له على ترجمة سوى ما أورده ابن النديم، الفهرست، ص342.

[5] ابن النديم، الفهرست، ص342.

[6] المصدر نفسه، ص484.

[7] مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، نشره قسم الجغرافيا والجمعية الجغرافية الكويتية، (الكويت-يناير 1985)، ص30.

[8] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص310.

[9] ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص216 .

السخية والارزاق(10) برع في العديد من العلوم ونالت من قبله علوم الاوائل عناية كبيرة فكان له باع في الفلسفة(1) والعلوم الفقهية واللغوية والادبية(2) والطبية(3).

ان شخصية المأمون تمتاز بالطابع العلمي الحضاري اذ كان لها الاثر الفاعل في جعل عصره من ابهى وازهى العصور الاسلامية لاسيما من ناحية تشجيع العلوم المختلفة فصار همه الاول طلب العلم من مواضعه لترجمته وضمه الى بيت الحكمة، فضلا عن جلبه المزيد من العلماء والنقلة والمفكرين، واستعمال شتى الاساليب للحصول على الكتب في مختلف الاختصاصات(4).

فقد عمل على مراسلة الملوك لاسيما الاباطرة الروم وارسال البعثات للحصول على كتب ارسطو وغيره من الفلاسفة وقد قيل ان ذلك كان على اثر حلم شاهده المأمون كما يقول ابن ابي اصيبعة (5)، وكانت هذه البعثة تتألف من مجموعة من النقلة هم الحجاج بن مطر(6)، وابن البطريق[7]، وسلم صاحب بيت الحكمة[8]،

وقيل ان يوحنا بن ماسويه ممن كان معهم [1]. وقد نجحوا في جلب كتب كل من افلاطون[2] وأرسطو[3] وابقراط [4] وجالينوس[5] وأقليدس وبطليموس[6]. وفي بعض الاحيان

---

(10) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص27-28.
(1) الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، م2،(د.م-دت)، ص235.
(2) الصولي، ابو بكر محمد ، اخبار الراضي ، بغداد -د.ت، ص19 .
(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج9، ص275.
(4) حمادة ، المكتبات في الاسلام ، ص53.
(5) عيون الانباء ، ص189-190.
(6) الحجاج بن مطر: احد النقلة عاش في زمن المأمون وعمل على نقل عدد من الكتب اليونانية الى العربية منها كتاب ارسطو المرآة، كتاب المجسطي لبطليموسن كتاب اقليدس. القفطي، تاريخ الحكماء، ص98،42؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص280 .
(7) يوحنا بن البطريق: مولى المأمون كان امينا على الترجمة نقل الكثير من الكتب اليونانية الى الرومية من ثم الى العربية، ترجم الكثير من الكتب لارسطو منها السياسة في تدابير الرياسة وبهذا كان اميل الى الفلسفة من الطب وترجم كذلك لابقراط . ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص67،28-68.؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص379.
(8) ويدعى سلم صاحب بيت الحكم ولم يذكر المؤرخون سوى اسمه هذا ويعد اول من تولى رئاسة بيت الحكمة في عصر الرشيد وكان حاذقا في اللغتين الفارسية واليونانية بدليل ان المأمون قام باختياره لجلب الكتب من بلاد الروم وقد اشرف على ترجمة الكتب الفارسية التي جمعت في بيت الحكمة . ابن النديم ، الفهرست ، ص174؛ التكريتي ، سليم طه ، بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي ، المورد ، م8،ع4، (بغداد-1979)، ص203.
(1) ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم ، ص76.
(2) افلاطون وفلاطن: ومعناه العميم الواسع، احد فلاسفة اليونان ولد في اثينا وبرع في علوم عدة منها الطب والهندسة وله في الفلسفة تأليف عدة منها كتاب السياسة النواميس لابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص79-81.
(3) ارسطو: ارسطو طاليس بن نيقو ماخس الجهراشي الفيثاغوري وهو احد تلامذة افلاطون وقد برع مثله في مجال الفلسفة فأصبح فيلسوف الروم وعالمها وخطيبها وطبيبها وكان اوحد عصره في الطب وله كتب في المنطق ، الطبيعيات،الالهيات، الخلقيات لابن النديم،الفهرست، ص347؛ ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص77.
(4) ابقراط: احد اطباء اليونان وفلاسفتها، ويطلق عليه الحكيم والكبير توفي سنة 357ق.م. وله عدة مؤلفات في الطب منها الفصول، الامراض الحادة، طبيعة الانسان، القروح وجراحات الرأس لابن جلجل، طبقات الاطباء، ص16.
(5) جالينوس: احد فلاسفة اليونان الطبيعيين ولد في مدينة قرغاموس وله تمييز في الطب وعلم الطبيعيات وعلم البرهان ويذكر المؤرخون انه ولد بعد المسيح بفترة من الزمان وعاصره وله تآليف عدة منها لحن العامة، الاسباب الماسكة، كتاب يخص اصحاب الحيل في الطب... . البيهقي، ظهير الدين، تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق: محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي (دمشق –1946)، ص45؛ القفطي، تاريخ الحكماء، ص124.
(6) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص28؛ بطليموس: أحد حكماء اليونان وفلاسفتها وأكثر الرواة يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر، وله عدة تآليف منها كتاب المجسطي الكبير، الجغرافية، الاسطرلاب، اللحون الثمانية، وهو اول من اخرج علم الهندسة

يجد اباطرة الروم صعوبة في الحصول على ما طلب منهم من كتب فيضطرون للبحث عنها تلبية لرغبة الخلفاء ومكانة الدولة الاسلامية في ذلك الوقت ففي احدى المراسلات بين الخليفة المأمون وملوك الروم يطلب فيها كتب الحكمة، فيضطر ملك الروم للبحث لعدم معرفته مكان وجودها لارسالها الى المأمون، كيفما وجدت وهذا ما يفسر كون بعضها تاما والبعض ناقص[7] ككتاب المخروطات [8].

ولم يصل للمأمون منه سوى القسم الاول فقط [1] وقد نقلت كتب اخرى للمأمون من جزيرة قبرص تخص الفلسفة وقد وضعت في بيت الحكمة [2]، ومن بين الكتب التي حصل عليها المأمون كتاب الاسرار لارسطو وهو كتاب في السياسة، ارسل يوحنا بن البطريق لبلاد اليونان للحصول عليه[3].

وقد استغل المأمون كل وسائل الاتصال بالحضارات الاخرى للحصول على نتاجاتها العلمية، اذ كان يعمل على استجلاب المزيد من الكتب عن طريق معاهدات واتفاقيات الصلح كأحد شروطها[4]، ونص احد بنودها على ان يهب الامبراطور البيزنطي مكتبة القسطنطينية ذات الكتب النادرة التي بلغت مائة الف مجلد ما بين علمي وطبي وفلسفي، ونظرا لاهميتها ارسل الخليفة المأمون بعثة من كبار العلماء لاختيار احسنها تكونت من الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم وآخرين، كما اناط اليهم ترجمتها الى اللغة العربية [5] اتبع الخليفة المأمون تلك الطريقة مع حاكم صقلية حينما التمس منه نقل مكتبة صقلية الغنية الى بغداد[6] وقد لعب حنين بن اسحق[7] دورا كبيرا في السفر الى بلاد الروم للبحث عن الكتب وجلبها وترجمتها[8].

من القوة الى الفعل لابن نباتة، ابن زيدون جمال الدين المصري، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، (القاهرة-1964)، ص214.

[7] القفطي، تاريخ الحكماء، ص30.

[1] أبن صاعد الأندلسي ، نفس المصدر ، ص61.

[2] ابن نباتة، سرح العيون، ص132.

[3] ابن جلجل، ابي داود سليمان بن حسان الاندلسي، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة-1955)، ص67.

[4] ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص260.

[5] ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص76؛ ابن نباتة، سرح العيون، ص166؛ فراج عز الدين، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوربية، دار الفكر العربي (د.م-1978)، ص211-212.

[6] اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص28؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص327.

[7] حنين بن اسحق : ولد سنة 193-260هـ/808-873م وهو طبيب نصراني من قبيلة عباد العربية ولد في الحيرة درس الطب في بغداد وتضلع باليونانية، عينه الخليفة المأمون رئيسا على بيت الحكمة وانصرف الى الترجمة ونقل من اليونانية الى السريانية والعربية بعض كتب افلاطون وارسطو وجالينوس. له كتاب العشر مقالات في العين، المدخل في الطب. ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص257-263.

[8] القفطي، تاريخ الحكماء ، ص173.

اورد ابن النديم رواية، مفادها ان ابا الفضل العميد[1] بعث الى اصفهان بعثة برئاسة يوحنا بن ماسويه وآخرين لجلب كتب قديمة عثر عليها هناك في سور المدينة الذي انهار في عام 350هـ/960م وهذه الكتب كانت باليونانية وقد حفظت في صناديق[2] لا يمكن تصديق هذه الرواية لوفاة يحنا بن ماسويه قبل هذا التاريخ بقرن تقريباً .

ظهرت طبقه بارزه من العلماء مشهورون امثال ابناء موسى بن شاكر[3] محمد واحمد والحسن وهم ممن عني بجلب الكتب وبذلوا في سبيل ذلك الاموال الطائلة فقد انفذوا حنين بن اسحق وغيره الى بلد الروم، فجاؤوهم بطرائف الكتب، وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقي[4] والطب[5] فاظهروا عجائب الحكمة [6] وقد لازم حنين بن اسحق بني موسى بن شاكر[7] الذين شجعوه على النقل من اللغة اليونانية الى اللغة العربية [8]. قال تعالى:(لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)[1]، أي علمك ويدل على ذلك قوله فكشفنا عنك غطاءك أي علمك ومعرفتك بها قوية[2].

وقوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ)[3]، يكشف له عن نوره العظيم فيخرون له ساجدين[4] (كشف) رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه وكشف الامر[5] اظهره والكشف تفسير الشيء وإزالة الغطاء عنه ويؤخذ الكشف لبيان الحقائق من اجل المطالب[6].

---

[1] ابو الفضل العميد: محمد بن العميد (300-360هـ) أحد رؤساء بيت الحكمه في عهد المأمون وأصبح فيما بعد امام عصره في الادب والكتابة والبلاغة، وكان وزيرا لركن الدولة البويهي (320-366هـ). مسكويه ، احمد بن محمد بن يعقوب ، تجارب الامم وتعاقب الهمم، (د.م-د.ت)، ص202.

[2] الفهرست، ص334-336.

[3] ابناء موسى بن شاكر: هم محمد واحمد والحسن اولاد موسى بن شاكر عاشوا في كنف المأمون فخرجوا غاية في علومهم وكان اكبرهم وأجلهم محمد وافر الحظ من الهندسة والنجوم عالما باقليدس والمجسطي، اما احمد فكان عارفا بصناعة الحيل، وكان الثالث الحسن منفردا بالهندسة وله طبع عجيب لا يدانيه احد. القفطي، تاريخ الحكماء، ص441-444.

[4] الارثماطيقي: وهو علم يبحث عن خواص العدد من حيث التأليف أما على التوالي او بالتضعيف وأحواله وكيف يتولد من بعضه البعض. القنوجي، ابجد العلوم، ص49-51.

[5] ابن النديم، الفهرست، ص340.

[6] المصدر نفسه، ص379.

[7] Gasir, Michaelis, Bibliothecq Arabica-hispana Escurialensis, Biblio verlag (Osnabruck-1969), P.288.

[8] القفطي، تاريخ الحكماء، ص173.

[1] سورة ق، اية 22 .

[2] الغزي، محمد بن محمد، اتقان ما يحسن من الاخبار الدائرة على الالسن، تحقيق: خليل محمد العربي، ج2، (القاهرة-1995)، ص78.

[3] سورة القلم، اية 42.

[4] الغزي، اتقان ما يحسن من الاخبار، ج2، ص533.

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، ج9 ، ص300.

[6] المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ج1، ص406.

إنكشف الشيء أظهره، اكتشف الشيء كشفه؛ ومنه الاكتشافات لما يكشف من الطبيعية، استكشف الشيء: سأل ان يكشف له [7]. فالبعثة العلمية هي البعثة التي ترسلها الدولة الى ناحية من النواحي للكشف عن مسالة معينة[8]. اول اشارة وردت عن عملية الاستكشافات هي الرحلة القصيرة التي قام بها الخليفة الرشيد بنفسه ومعه وزيره يحيي بن خالد البرمكي على اثر سماعه لاخبار المنذر[9]. وبعد رؤيته لاثاره وقبره انتهى به المطاف الى دير هند الكبرى[10] وهو على طرف النجف فرأى في جانب حايطه شيئا مكتوبا فدعا بسلم وأمر بقراءته:

ان بني المنذر عام انقضوا   بحيث شاد البيعة الراهب

تـنفع بالمـسك ذفـاريهم   وعنبر يقطـنه القطب

والعز والمـلك لهـم راهن   وقوة تجودها ســاكب

اضحوا ما يرجوهم طـالب   خيرا ولا يرهبهم راهب

كـأنهم كانوا بها لعـبة   سار الى اين بها الراكب

فأصبحوا في طبقات الثرى   بعد نعيم لهم راتـــب

شر البقايا من بقي بعـدهم   قل وقل مــرة خائـب

قال فبكى حتى جرت دموعه على لحيته وقال نعم هذا سبيل الدنيا وأهلها[1].

ورغم كل مشاغل الحكم الا ان هذا لم يصرف الرشيد عن البحث عن الحقيقة من خلال مشاهدتها والتقصي عنها برؤيتة لمآثر الأقدمين من الملوك لما تحمله من الوعظ والعبر. وفي سنة 216هـ قرر الخليفة المأمون التعرف على حقيقة الاهرامات هناك ، فبعث اليها من يستطلع امرها والتحقق عما فيها فحفروا هناك وقيل انهم وجدوا نقودا ذهب مضروبة ومظهرة خضراء[2] حملوها اليه فحفظها في خزائنه[3] وقال شعرا في هذا المعنى :

انظر الى الهرمين واسمع منهما   ما يرويان في الزمان الغابر

لـو ينـطقان الخبر انا بالـذي   فعل الزمـان بأول وبآخر[4]

---

[7] المنجد في اللغة ، ط3، ص687.

[8] مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، ص9؛ بوزرث، تراث الاسلام، ج2، ص293.

[9] المنذر بن ماء السماء: (514-554م) اشهر الملوك اللخمينيين حارب الروم مرارا. زوجته هند الكبرى ام عمروا قتل يوم حليمة. المنجد في الاعلام، ص687.

[10] دير هند الكبرى: وهو دير يقع في الحيرة بنته هند بنت الحارث بن عمرو زوجة المنذر بن ماء السماء وهي ام الملك عمرو بن المنذر. بنت هذا الدير للاله الدهرداهر كي يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص541.

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2 ،ص709.

[2] الحنفي، محمد بن احمد بن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ج1، (القاهرة-1975)، ص151.

[3] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص321-322.

[4] عيسى، علي، عجائب البلدان، مخطوطة موجودة في دار المخطوطات العراقية برقم 39837، ورقة 60-62.

أشهر الرحالة العرب

الترحال في الأرض و السفر من السنن الرانية التي يدعو إليها القرآن الكريم سورة العنكبوت : قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، و قد انطبق السير في الأرض و الترحال على العديد من الرحالة العرب ، منهم من ارتحل من نفسه و منهم من اضطرته الظروف و المقادير إلى تغيير المنزل و السفر المستمر ، و لا شك أن الرحالة العرب كانو كثرا إلا أن بعضهم اشتهر دون الآخرين ، و إليكم لائخة أشهر الرحالة العرب و المسلمين

i- -1(ابن بطوطة الطنجي 24 فبراير 1304 – 1377م بطنجة) (703 – 779هـ)

و هو أشهر الرحالة على الإطلاق ، جاب الكثير من الأمصار و القطار و دون مشاهداته في محمد بن عبد الله بن محمد كتابه : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، و هو ولد في طنجة و بعدما درس الشريعة قرر السفر حاجا ، و بهذا بابن بطوطة الطنجيالمعروف بدأت رحلة أسفار دامت أكثر من 30 سنة و قد زار : المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين الجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقي.



رسم تخطيطي لمسار رحلة ابن بطوطة أشهر الرحالة العرب

ii- 2-الشريف الإدريسي 493 هـ (1100 ميلادية)- 559هـ 1166م

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس الشريفي أو الشريف الإدريسي عالم مسلم من أهل البيت. أحد كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسسين علم الجغرافي ، استخدمت مصوراته وخرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الأوربية. حيث لجأ إلى تحديد اتجاهات الأنهار والمرتفعات والبحيرات، وضمنها أيضًا معلومات عن المدن الرئيسية بالإضافة إلى حدود الدول.

. يعتبر الادريسي من أول من رسمو خريطة للعالم تطابق الشكل الذي نعرفه اليوم

iii- 3-ابن جبير الأندلسي

أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني المعروف باسم ابن جبير الأندلسي ولد في فالنسيا سنة 540 هـ، 1145م، هو جغرافي، رحالة، كاتب وشاعر أندلسي عربي. أتم حفظ القران الكريم, ودرس علوم الدين وشغف بها قرر القيام برحلة الحج التي دامت ما يقرب السنتين ودون مشاهداته وملاحظاته في يوميات عرفت برحلة ابن جبير، وسميت باسم " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار و انطلقت رحلته من غرناطة ،سبتة، بالرمو ، جزيرة كريت ، صقلية ، الاسكندرية ، القاهرة ، مكة ، المدينة ، دمشق، بغداد ، الموصل ، حلب .

iv- 4-أحمد ابن فضلان البغدادي

أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي، عالم إسلامي من القرن العاشر الميلادي . كتب وصف رحلته كعضو في سفارة الخليفة العباسي إلى ملك الصقالبة (بلغار الفولجا)سنة 921 م.فقد زار أحمد بن فضلان روسيا برسالة من الخليفة العباسي إلى ملك الصقالبة. وصل ابن فضلان إلى البلغار يوم 12 مايو 922 (12 محرم 310 هـ)، (وقد اتخذت تتارستان المعاصرة من تلك المناسبةً يوم عطلة دينية

v- 5-أحمد ابن ماجدالنجدي (821هـ -906هـ)

أحمد بن ماجد بن محمد السعدي النجدي (821هـ -906هـ) ""النجدي" ملاح وجغرافي عربي مسلم، برع في الفلك، الملاحة، والجغرافيا وسماه البرتغاليون (بالبرتغالية)almirante : ومعناها أمير البحر, ويلقب"معلم بحر الهند" , ينتسب إلى عائلة من الملاحين. كتب العديد من المراجع الملاحية، وكان خبيراً ملاحياً في البحر الأحمر وخليج بربرا والمحيط الهندي وبحر الصين

ويتمتع أبن ماجد بأشهر اسم في تاريخ الملاحه البحرية لإرتباط اسمه بالرحلة الشهيره حول رأس الرجاء الصالح إلى الهند حيث قام ابن ماجد بمساعدة فاسكو دي جاما لأكتشاف طريق الجديد الموصل إلى الهند.

ولأبن ماجد الفضل في أرساء قواعد الملاحه للعالم، وفقد بقيت آراؤه وأفكاره في مجال الملاحه سائده في كل من البحر الأحمر والخليج العربي وبحر الصين حتى سنة 903 هجرية وهو أول من كتب في موضوع المرشدات البحرية الحديثه

vi- -6 ليون الافريقي أو الحسن الوزان

ليون الأفريقي أو يوحنا ليون الأفريقي أو يوحنا الأسد الأفريقي هو الحسن بن محمد الوزان الزياتي الحسن بن محمد الوزان الفاسي. اشتهر بتأليفه الجغرافي في عصر النهضة.

ولد ليون الافريقي في غرناطة 901 هـ / 1495م ثم ارتحل مع عائلته إلى فاس ، و بعد أن كبر قام برحل تجارية الى تمبكتو ثم طاف المغرب و بعدها ذهب إلى مصر و تم اختطافه من القراصنة ليسلم إلى البابا ليون العاشر الذي سماه ليون و طلب منه كتابة قصة رحلاته ، فكتب كتابا اسمه : وصف افريقيا . عاد إلى تونس ليقضي بها آخر أيامه.

رحلة ابن فضلان 309 هـ / 921 م (إنموذجا)

تم اختيار شخوص الرحلة بما يتناسب ونوع المهمة المناطة بهم، فطريقة الوفد تدل على حكمة وتدبير، وعلى المستوى الفكري لجهاز الدولة في العهد العباسي، حتى في ادوار ضعفها وتدهورها[6] فقد تقرر ان يكون الوفد الرسي من اربعة اشخاص هم سوسن الرسي مولى نذير الخرمي وتكيين التركي وبارس الصقلابي واحمد بن فضلان ومعهم رسول الصقالبة[1]. واول هؤلاء الاشخاص هو سوسن الرسي ولكن لابد من اختيار شخص موثق به ولم يكن احد من الامراء او الوزراء المحيطين بالخليفة مستعدا للذهاب في هذه السفرة الطويلة الخطرة ولما كان نذير الخرمي هو المحرك الاول لهذه الفكرة، واليه وجه ملك البلغار احدى رسائله، وهو الذي اوصل الى الخليفة الرسالة الموجهة اليه[2]، فقد اخذ الامر على عاتقه، ورشح لهذه المهمة احد مواليه وهو سوسن الرسي، ومعه ذهب عديله ولم يذكر اسمه ويبدو انه لم يكن له

---

[6] صفوت، نجدت فتحي، أول دبلوماسي عربي في روسيا، آفاق عربية، ع3، السنة الثانية (بغداد-1976)، ص18.
[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص32-33.
[2] П. КоВАПЕВсКИИ, КНИАГаXuega U6H. gagλoHa OEГO ПYTE ΨECBИИ HAR-ATY R 921922 (Xφ) SKOB-1965), P.63.

دور كبير[3] ومن نسبه يبرر انه من بلاد الروس استجلب رقيقاً ثم تعلم العربية وحسن اسلامه وتقدمت به مراتبه[4]، ويذكر بأنه كان غلاما لابي العباس المعتضد (279-289هـ/892-901م)[5]، وبعدها صار احد موالي الخليفة المكتفي ومن ثم احد حجاب المقتدر الستة[6].

اما بارس الصقلابي فهو قائد وثائر وهو غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان[7]، ويخيل الينا بأنهما يعرفان الروسية لنسبهما[8] والثالث تكين التركي هو تركي الاصل يجيد لغات الاتراك الذين يمر الوفد ببلادهم في طريقه الى الفولغا، وهو الذي اقنع نذير الحزمي بايصال كتاب ملك البلغار الى الخليفة المقتدر[1]، وقد كان حدادا يعمل في خوارزم[2]، وهو اصلا من بخارى وقد عمل كقائد في جيش الخلافة العباسية وأسهم في حرب الموفق ضد صاحب الزنج في البصرة وقد كان متوليا اعمال الاهواز ويبدو انه تقلد اثناء خلافة المقتدر اعمال مصر[3].

قبل ان اتكلم عن رابع اعضاء الوفد وأهم شخصياته لكونه خلف لنا رسالة أروع ما تكون في الوصف ،ولابد من التأكيد على شخصية رسول ملك البلغار عبد الله بن باشتو الخزري[4]، الى الخليفة المقتدر، فمن الغريب اعتماد ملك البلغار في مثل هذه المهمة الخطيرة الموجهة ضد ملك الخزر على شخص خزري ويفسر المستشرق كوفا ليفسكي ذلك بأن عبد الله بن باشتو كان لاجئا سياسيا من الخزر يمثل مسلميها الذين حاولوا الاطاحة بالملك وقلب بلادهم الى دولة مسلمة وان اعتناق جيرانهم البلغار الديانة الاسلامية كان من شأنه تقوية مكانة المسلمين في بلاد الخزر. وقد اختار ملك البلغار عبد الله بن بشتو الخزري سفيرا لدى الخليفة لانه كان اقدر

---

(3) صفوت، اول دبلوماسي عربي ، ص18 .

(4) ابن فضلان ، الرسالة ، ص33.

(5) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ج9، دار المعارف، (القاهرة-1979)، ص561.

(6) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: مصطفى عبد القادر،عطا، ج8، دار الكتب العلمية (بيروت-1992)، ص68، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص45، ناجي، عبد الجبار، انتشار الاسلام اللفار-الفولكا اعتماداً على رحلة ابن فضلان، مجلة دراسات اسلامية، ع9،السنة الثالثة، بيت الحكمة، (بغداد-2002)، ص38.

(7) اسماعيل بن احمد (235-295هـ/849-907م) امير ساماني ولد في غرناطة حكم ما وراء النهر اثر وفاة اخيه نصر بعد ان نال تأييد الخليفة (280هـ). المنجد في الاعلام ، ص45.

(8) ابن فضلان، الرسالة، ص33.، صفوت، نجدت فتحي، العرب في الاتحاد السوفيتي، مكتبة آفاق عربية، (بغداد-1984)، ص40-43.

(1) صفوت، اول دبلوماسي، ص18.

(2) ابن فضلان، الرسالة، ص33.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص546.

(4) A. П. KoBAПEBcKИИ, KHИAΓaxuega, P. 101.

على اعطائه معلومات دقيقة عن الحالة الداخلية في بلاد الخزر[5]، وربما يكون تحليله تحليلا صائبا.

اما اهم شخوص الرحلة فهو صاحب الرسالة، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله الى ملك الصقالبة[6].

وقد اختلف ذاكري رسالته في اسمه، فيذكر ياقوت الحموي ان اسمه احمد بن العباس بن اسد بن حماد[1]، اما المقريزي فيقول بأن اسمه أمجد بن فضلان[2] ونعزو ذلك الى خطأ في النقل عن الرواية الاصلية.

وان لم يكن اسم ابن فضلان شائعا عند العرب الا ان هذا لا ينفي بأنه عربي النشأة من خلال تتبع اسماء اجداده وكونه ايضا احد الموالي يدل على انه اعجمي الاصل الا انه لا يمحو نشأته العربية[3].

ولا نعرف عن شخصية ابن فضلان سوى ما ذكره هو في رسالته ولم نجد لاسنة ولادته ولا وفاته ولا اية ترجمة بسيطة لحياته او أي اشارة اخرى، عدا كونه مولى لمحمد بن سليمان وانه صاحب الرسالة، اما في المراجع الحديثة فيترجم البعض عن حياته مجتهدا، وربما يكون ما يذكره صحيحا وربما غير صحيح، فيذكر الدهان في مقالته "بأنه عالم من علماء المسلمين"[4]. ويوصف بأنه فقيه ومؤرخ من اهل بغداد[5]، اما الدوري فيذكر بأنه قاض ارسله الخليفة الى بلاد الفولغا[6]، وانه رجل واسع الافق دقيق الملاحظة كثير السؤال، مستندا في قول ذلك على المقدسي كما يشير الا انه بعد التحقق من ذلك لم نجد لكلامه هذا أي صحة[7].

لقد اختلف الكتاب حول رئاسة البعثة فالاغلب ينسبها الى ابن فضلان فهو في رسالته يحاول ان ينسب دور القيادة له فهو في كل الظروف يأمر وينهي ويقرر الرحلة او البقاء، فهو نفسه يقول: " فندبت انا لقراءة الكتاب عليه وتسليم الهدايا والاشراف على الفقهاء والمعلمين"[8].

---

[5] صفوت، اول دبلوماسي، ص18؛ الدهان، سامي، اول سفارة لدى الروس منذ عشرة قرون، مجلة العربي، ع3، (الكويت-شباط-1959)، ص24.

[6] ابن فضلان، احمد بن العباس بن راشد، رسالة ابن فضلان، مجموع في الجغرافية لابن الفقيه وابن فضلان وابي دلف، تقديم: فؤاد سزكين، (فرنكفورت-المانيا)، مخطوطة مطبوعة موجودة في مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، برقم 3، ورقة 390.

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج1 ، ص723 .

[2] القزويني، عجائب المخلوقات ، ص219.

[3] ابراهيم ، عبد الله ، الالتباسات الثقافية بين الانا والآخر في رحلة ابن فضلان الى بلاد الشمال ، نشرة قسم الجغرافية ، جامعة بنغازي (ليبيا-1998) ، ص2-3.

[4] الدهان، أول سفارة للعرب، ص23.

[5] دائرة المعارف، أفرم البستاني، م3، (بيروت-1960)، ص432.

[6] بلاد الفولغا: تحاذي بلاد برطاس تقع على النهر الذي يصب في بحر الخزر, وهم بين الخزر والصقالبة، ابن رشد، ابو علي احمد بن عمر، الاعلاق النفسية، ليدن (بريل-1891)، ص141.

[7] الدوري، عبد العزيز، الجغرافيون العرب وروسيا، مجلة المجمع العلمي العراقي، ص11.

[8] ابن فضلان ، الرسالة ، ص33.

بينما يرى كرانشكوفسكي بأن رئيس الوفد هو سوسن الرسي[1]، ويتفق معه كل من كوفاليفسكي[2]، ودي غويه[3]. وقد قام الخليفة بتحميل البعثة هدايا وأدوية-كان قد طلبها من نذير-له ولامرأته ولأولاده وأخوته وقواده، فضلاً عن تهيئة المال اللازم لبناء الحصن وتغطية تكاليف البعثة من خراج الضيعة المعروفة بارثخمثين من ارض خوارزم[4] من ضياع ابن الفرات[5].

بدأت الرحلة مسيرتها في يوم الخميس[6] 11 من صفر سنة 309هـ/921م، فاقمنا في النهروان[7] يوما واحدا، ...ثم حلوان [8] ... ثم همذان[9] ... الى الري[10]... ثم خراسان ... امل[11]

بعدها عبرنا جيحون... ثم بيكند [1]... بعدها قابلنا في بخارى[2] نفر بن احمد الساماني (301–331هـ/914–943م) للحصول على ارثخشمثين، وتركنا بخارا بعد ان اقمنا ثمانية وعشرين يوما دون الحصول على مبتغانا[3] فرجعنا الى النهر وتكارينا سفينة الى خوارزم والمسافة اليها من الموضع الذي اكترينا منه السفينة اكثر من مئتي فرسخ، بعدها دخلنا خوارزم بعد ان استأذنا صاحبها بالدخول الى بلد الترك بعدها انحدرنا الى الجرجانية[4] وبينها وبين خوارزم في الماء خمسون فرسخا، وطال مقامنا هناك ولم نشأ دخول بلاد البلغار لعدم جلبنا المال من قبل الخليفة الا اننا في النهاية فوضنا امرنا الى الله واكترينا دليلا واتجهنا بلاد البلغار مارين ببلاد الترك وانهارها حتى وصلنا البلغار بعد سبعين يوما.

---

(1) كرانشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ج1، ص187.

(2) A. П. КоВАПЕВсКИИ, КНИАГ, P. 192.

(3) دائرة المعارف الاسلامية ، م1،ص255.

(4) خوارزم: يقع هذا الاقليم بين نهر جيحون وبين بلاد ارمينيا وهو من الاقاليم المجاورة لشرق اوربا. السترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة وتعليق: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد-1954)، ص489.

(5) ابن فضلان ، الرسالة ، ص98؛ فوزي، فاروق عمر الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط2، مكتبة المثنى، (بغداد-1977)، ص125.

(6) نظرا لاهمية الرحلة واتفاقا مع اداب السفر فان الرسول (ρ) لا يخرج الى السفر الا يوم الخميس، وفي حديث شريف قال: (اللهم بارك لافي بكورها الا يوم في يوم خميسها)، الغزالي، ابو حامد محمد، احياء علوم الدين، ج2، باب اداب السفر، (بيروت- د.ت)، ص 108

(7) النهروان:هي كورة بين بغداد وواسط من جهة الشرق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص846.

(8) حلوان: مدينة تقع في المنطقة الجبلية مما يلي بغداد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص317.

(9) همذان: تقع في الاقليم الرابع في الجزء الشمالي، وهي بلاد شديدة البرد في الشتاء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص412 .

(10) الري: مدينة معروفة تقع بين نيسابور وبحر الخزر بالقرب من طهران. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116 .

(11) امل: بلدة معروفة في غرب جيحون على الطريق القاصد الى بخارا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص69 .

(1) بيكند : بلدة بين بخارا وجيحون . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص797 .

(2) بخارا : عاصمة الدولة السامانية في ذلك الوقت وهي بالقرب من نهر جيحون . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص571 .

(3) وذلك بسبب المكيدة التي وقعنا بها من قبل الفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات وزير المقتدر فقد نص الكتاب على التسليم لاحمد بن موسى الخوارزمي وكان قد وافانا فيما بعد فعمل من خلال عيونه–أي الفضل بن موسى–على اعتقاله في مرو ليحيل دون قدمه وحصولنا على مبتغانا، ابن فضلان، الرسالة، ص108 –109؛ السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي (132-656هـ/749-1258م)، (الموصل-1988)، ص123.

(4) الجرجانية: مدينة كبيرة على نهر جيحون، يسكنها اقوام من الاتراك والتركمان، تتميز ببردها الشديد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص54 .

فاستقبلنا ملك البلغار وبعد اربعة ايام جمع قواده واهل بلدته ليسمعوا قراءة الكتاب فقرأ الكتاب –أي كتاب الخليفة– وبعدها اخرجت الهدايا له ولامرأته، فاكرمنا واحسن ضيافتنا، وبعد ثلاثة ايام ارسل في طلبنا فطلبنا بالمال الذي ارسله الخليفة، الا انني بررته له عدم جلبنا له فلم يقنع وحاججني بذلك فلم استطع اقناعه، فانصرفنا من عنده وبعدها صار يؤثرني ويقربني ويباعد اصحابي ويسميني ابا بكر الصديق[5].

وهذا لا يعني فشل البعثة في هدفها بل على العكس ان هذه البعثة تؤكد مدى قوة الرابطة التي تربط ما بين اجزاء العالم الاسلامي البعيدة بالخلافة الاسلامية ورغبتها في الارتباط بالخلافة العباسية بشكل اكبر، وهذا ما يؤكده جواب ملك الصقالبة لابن فضلان عند سؤاله له عن الاموال التي طلبها من الخليفة. ((... لو اردت ان ابني حصنا من اموالي من ذهب او فضة لما تعذر ذلك علي، وانما تبركت بمال امير المؤمنين، فسألته ذلك))[1].

فضلاعن نجاحه في تقديم تسجيل جغرافي عن منطقة الفولغا ووصفاً دقيقاً للمظاهر الطبيعية والتقاليد الاجتماعية[2] رغم الاهمية التي تحملها تلك البعثة، الا انها لم تردنا كاملة فجزء كبير منها ناقص وبالذات نحن نجهل كل ما دار في البلاد الاخرى وكذلك، كيفية رجوع ابن فضلان الى بلاد الاسلام[3].

وهنالك بعثات تفقيهيه اخرى، تخص الديانة المسيحية منها ما حكى الراهب النجراني الوارد من بلد الصين في سنة 377هـ، هذا الرجل من اهل نجران، أنفذه الجاثليق منذ نحو سبع سنين الى بلد الصين، وأنفذ معه خمسة أناسي من النصارى، ممن يقوم بامر الدين، فعاد من الجماعة هذا الراهب واخر بعد ستة سنين يواصل الراهب النجراني حديثه بقوله :(... فلقيته بدار الروم وراء البعثة فرأيت رجلا شابا حسن الهيئة قليل، الان يسأل، فسألته عما خرج فيه، وما السبب في ابطائه طول هذه المدة فذكر امورا لحقته في الطريق عاقته، وان النصارى الذين كانوا في بلد الصين فنوا واهلكوا باسباب، وانه لم يبق في جميع البلاد الا رجل واحد فذكر انه كان لهم ثم بيعة خربت. قال: فلما لم أر من أقوم لهم بدينهم عدت في

---

(5) ابن فضلان، الرسالة ، ص 150 –152 .

(1) المصدر نفسه ، ص172 .

(2) خصباك، شاكر، دراسة في التراث الجغرافي العربي، (بغداد–1975)، ص99، زيدان، جرجي، تاريخ ادب اللغة العربية، م2، دار مكتبة الحياة (بيروت–1978)، ص 514 ؛ عزام، عبد الوهاب، البلغار المسلمون، مجلة الثقافة، ع261–262، السنة الخامسة، (القاهرة–1943)، ص33، 15.

(3) ابراهيم، الالتباسات الثقافية، ص10.

أقل من المدة التي مضيت فيها)[1] لم يتوقف شغف الخلفاء بالعلم والاستكشاف بل تعداه الى ارسال البعوث لشراء الاحجار الكريمة.

فهذا المنصور يرسل بعثة لشراء حجر من الياقوت سمي (بالجبل) لكبر حجمه وقدر ثمنه حسبما تذكر الروايات مئة الف دينار، واشتراه الخليفة باربعين الفا[2]

والرشيد ممن أولع بالاحجار، فقد ارسل البعوث من اجل الاستحواذ عليها، فيذكر ان الرشيد كان شديد الولوع بالجواهر حريصا على اقتنائها وانه بعث بالصباح الجوهري جد الكندي الى صاحب سرنديب لابتياع جواهر ثمينة من ناحية فاكرمه الملك ورحب به واراه خزانة جواهره وهو يقبلها ويتعجب من جلالتها [3].

ظهرت بعثات ذات اغراض متعددة نتيجة لاختلاف اهداف كل بعثة. لقد كانت رغبة الخلفاء بالاطلاع على كل غريب، احدى السبل التي سلكها ملوك الدول المجاورة للخلافة الاسلامية للاطلاع على كل غريب للتقرب منهم وكسب رضاهم ، منها الوفد الصيني الذي حمل معه القرود للخليفة المهدي ذاكرين منافعها لدى الملوك عند طعامهم ، فيلقى الملك من طعامه ، فان اكله اكل الملوك منه، وان اجتنبه علم انه مسموم فحذر منه[4].

وللرشيد شأن في بذل المال والجهد في الترقب من اجل الحصول على كل غريب للاطلاع ومطابقة القول في الحقيقة، وذلك بارسال اشخاص معينين لهم خبرة في مجال ما يبحثون من اجله، فقد ذكر ابو رجاء الاسواني وهو احمد بن محمد الفقيه صاحب قصيدة البكره انه يعرف باسوان[5] رطباً اشد خضرة من السلق ، على اثر ذلك امر الرشيد ان تحمل اليه انواع التمور من اسوان من كل صنف ثمرة واحدة فجمعت له كمية منها وليس بالعراق هذا ولا بالحجاز ولا يعرف بالدنيا بسر[1] يصير تمراً، ولا يرطب الا باسوان ولا يتمر من بلح[2] قبل ان يصير بسرا الا باسوان قال: وسألت بعض اهل اسوان عن ذلك فقال لي: كلما تراه من تمر اسوان ليناً فهو مما

---

(1) ابن النديم، الفهرست، ص490 .

(2) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، التبصير بالتجارة، نشر: حسن حسني، ط2، (مصر–1935)، ص13–14

(3) البيروني، محمد بن احمد، الجماهر في معرفة الجواهر، (بيروت–د . ت)، ص62-63 .

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص196 .

(5) اسوان: اخر بلاد الصعيد وبلاد الاسلام، وجميع معادن الحجارة والعمد التي بالديار المصرية ومال فرعون وعمدة السواري بالاسكندرية من جبال هذه المدينة، الهروي، ابي الحسن علي بن ابي بكر، كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين طومين، (دمشق–1953)، ص45 .

(1) بسر: اوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر وابسر النخل صارما عليه بسراً. الرازي، مختار الصحاح، ص51 .

(2) بلح: وهو تمرة في النخلة تتحول الى بلحة بعد ان تكون طلعاً وخلال. ابن منظور لسان العرب، ج4، ص59 .

تمر بعد ان يصير رطبا وما رأيته احمر مغبر اللون فهو مما يتمر بعد ان صار بسرا، وما وجدته ابيض فهو مما يتمر بعد ان صار بلحاً[3].

وذكروا ان في عمل اسوان تمره تأكل بنواها ويرمى بقشرها،[4] ولا يمكننا البت بمدى صحة هذه الرواية لانها تتنافى مع حقيقة امر التمور في اسوان لكونها تمورا عادية متوسطة النضج في الموعد[5]، ولعل القاص لهذه الرواية أراد ان يبرز اهمية اسوان في ذلك الوقت وان يلفت انظار الخليفة الى هذا الاقليم ليحصل منه على المزيد من الاهتمام والرعاية.

مع علو شأن الرشيد تعددت اغراض البعثات فيذكر المسعودي في كتابه (مختصر العجائب)، قرأت في كتاب الطيب الذي ألفه ابراهيم بن المهدي ان احمد بن حفص العطار، قال: كنت في مجلس ابي اسحق وهو يصفي عنبراً، قد اذابه واخرج ما كان فيه من الحشيش الذي هو يشبه خلقه مناقير الطير، فسألني عن ذلك فقلت له: هذا مناقير الطير التي تأكل العنبر اذ رأته الدواب. فضحك ابو اسحق وقال: هذا قول تقوله العامة، ما خلق الله دابة تروث العنبر، انما العنبر شيء يكون في قعر البحر[1]، ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر فأمر حماد البدوي بالبحث في المسألة، فكتب اليه ان جماعة من اهل عدن اعلموه انه شيء يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه الريح بالامواج[2].

وهنالك رسالة أخرى له يذكر فيها الاحجار والمعادن واماكن وجودها وانواعها ومنافعها في المناطق التي زارها في ايران وماجاورها من البلدان[1].

وهنالك رحلات مجهولة الاغراض ولا يمكن تحديد اهدافها الحقيقية منها الرواية التي تقترن بشخصية تميم بن بحر المطوعي، واليه يعود الفضل في معرفة العرب الطريق البري الذي يخترق اسيا الوسطى الى الصين ويعتقد كرانشكوفسكي ان تميما هذا لم يكن تاجرا او عالما بل ينتمي الى فئة المتطوعة من جنود الثغور الاسلامية عند تخوم الخلافة في اسيا الوسطى وقد توجه الى خاقان الترك التغرغز[2] بمهمة دبلوماسية ويرجع تاريخها الى المدة بين عامي (143–184هـ/760–800هـ) [3]، فيذكر انه سلك الى بلاد خاقان والتغرغز (على بريد) نفذه

---

[3] ياقوت الحموي. معجم البلدان، م1، ص 269 – 270 .
[4] عيسى، عجائب البلدان، ورقة 434 .
[5] البكر، عبد الجبار، نخلة التمر ماضيها وحاضرها والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارتها، بغداد–1972، ص723 .
[1] فوزي، حديث السندباد ، ص165 – 166 .
[2] المسعودي ، اخبار الزمان ، ص45 .
[1] ابو دلف، مسعر بن المهلهل، الرسالة الثانية، اعتنى بنشرها مينورسكي، مطبعة جامعة القاهرة (القاهرة–1955)، ص4-5 .
[2] تاريخ الادب الجغرافي، ج1، ص139 .
[3] مجهول، عجائب المخلوقات في تعريف الانسان والمعادن والنبات ، مخطوطة محفوظة في دار المخطوطات العراقية برقم 9924 ، ورقة 18 .

خاقان اليه[4] وانه كان يسير في اليوم والليلة ثلاثة سكك بأد سير واحثه فسار وليس فيها قرية ولا مدينة غير اصحاب السكك وهم نزول في خيام وانه كان في البرية حمل معه زاد لعشرين وذلك انه عرف وذلك انه عرف امر تلك المدينة وان مسافتها عشرون يوماً في برار فيها عيون ولا... امراً حمل معه زاداً لعشرين يوماً وذلك انه عرف امر تلك المدينة وان مسافتها عشرون يوما في براري فيها عيون وكلأ...[5]

وهنالك رواية اخرى لشخص يدعى ابو عبد الله محمد بن اسحق يروي لنا حقائق عن الهند [1] وانه قد امضى عامين في حياته في قمار (أي خمير KHMER وهو الاسم القديم لكمبوديا[2]...) وحدث في اغلب الظن في بداية القرن التاسع الميلادي الثالث الهجري وتعد هذه الرواية المصدر الاساسي للمعلومات عن الهند وكمبوديا بالذات[3].

وظهرت أنواع اخرى خدمت الدولة بشكل كبير اذ حققت الهدف المرجو منها وفي ذات الوقت حملت أغراض اخرى كالبعثات الاستكشافية التي استطاعت اتمام مهامها بغية الاطلاع على بعض الأماكن التاريخية المعروفة كبعثة سلام الترجمات وحمد بن موسى المنجم والتأكيد على وحدة العالم الاسلامي.

---

(4) J . marquart , Ein arabscher Bericht Uber den arkfischen (uralischen) Lander aus dem 10 Jahrhundert ; Ungarische Janrbucher -1924 , p. 261 – 334

(5) ابن الفقيه الهمذاني ابو بكر احمد بن محمد بن اسحق اخبار الدول، مجموع الجغرافية لابن الفقيه وابن فضلان وابي دلف، تقديم: فؤاد سزكين، (فرانكفورت المانيا-1987) مخطوطة مطبوعة موجودة في مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، برقم3، ورقة 336 .

(1) ابن رسته، الاعلاق النفسية، ص132 .

(2) كمبوديا: هي احدى جزائر بحر الشرق التابعة للصين وتدعى قديما قمار. ابي الفدا، تقويم البلدان، ص369 .

(3) كرانشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ج1 ، ص138 .

في شرق أوربا وأواسط آسيا

أ – التركستان.

ورد لنا ابن فضلان شيئاً عن طباع أهل خوارزم بقوله: ((...هم أوحش الناس كلاماً وطباعاً، كلامهم أشبه شيء بصياح الزرازير ...)) [1]

اما الكردلية [2]فان ((... كلامهم اشبه شيء بنعيق الضفادع ...)) [3]

ب- الغز

الغزية (4) وصف ابن فضلان احوال اهل خوارزم قائلاً: (... هم قبيلة من الاتراك بادية، لهم بيوت شعر يحلون ويرتحلون...) [5]. ذكر لنا ابن فضلان بعض العادات الغريبه والشاذة عن تقاليد المجتمع الاسلامي بقوله: (...لا يستنجسون...ولا يغسلون...وليس بينهم وبين الماء عمل خاصة في الشتاء...)[6] .

اما عن المظهر العام الذي ساد بين رجال ونساء هذه القبيلة فيقول ابن فضلان: ((... لا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم، كذلك لا تستر المرأة شيئاً من بدنها عن أحد من الناس...))[1] .

يصف لنا ابن فضلان عادات اقوام من الترك والتي تعكس لنا مظهرهم الخارجي بقوله: ((...ينتفون لحاهم الا اسبلتهم[2]. وربما رأيت الشيخ الهرم منهم وقد نتف لحيته وترك شيئاً منها تحت ذقنه...)) [3] .

---

[1] ينظر الادريسي:، ابو عبد الله محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء العاشر من الاقليم الخامس، (روما–د. ت)، ص837.

[2] الكردلية : احدى قرى خوارزم . ابن فضلان ، الرسالة ، ص 113 .

[3] المصدر السابق، ص 113 .

[4] الغزية : قبيلة تركية، سكنوا اقرب بخارى ثم على ضفاف نهر الفولغا الى الدانوب ، أي في الاراضي ما بين بحر الخزر الى اواسط مجرى سيرداريا ، ويعتقد ان السلاجقة قد انفصلوا عنهم وكان معهم هذه الاسرة . بارتولد ، تاريخ الترك ، ص 50 .

[5] الرسالة ، ص 122

[6] المصدر نفسه ، ص 123 .

[1] المصدر نفسه ، ص 123 .

[2] اسبلتهم: السبلة الشارب والجمع سبال او اسبلة، الرازي، مختار الصحاح، مادة سبل، ص 284.

[3] الرسالة ، ص 131.

ـ البجناك [4]

قدم لنا ابن فضلان وصفاً دقيقاً لسكان هذه المنطقة بقوله : ((... هم سمر شديدوالسمرة، واذا هم محلقو اللحى، فقراء، خلاف الغزية. لاني رأيت من الغزية من يملك عشرة الاف دابة، ومئة الف رأس من الغنم، واكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج باظلافها تطلب الحشيش، فاذا لم تجده قضمت الثلج فسمنت غاية السمن، فاذا كان الصيف واكلت الحشيش هزلت...)) [5] .

ـ الباشغرد.

يصف لنا ابن فضلان طبيعة الباشغرد قائلاً بانهم: ((... شر الاتراك واقذرهم، واشدهم اقداماً على القتل يلقى الرجلُ الرجلَ فيفرز هامته ويأخذها ويتركه ...))[1].

اما المظهر العام للشخص الباشغردي فيقول: ((...هم يحلقون لحاهم...)) [2].

ـ التغرغز.

يشير ابو دلف الى الحالة التي كان عليها هذا الشعب قائلاً: ((... هم بادية ينزلون في خيام واكثرهم من الاتراك...)) [3]

ـ البغراج والخرلخ .

يصفهم ابو دلف بقوله: ((... قبيلة تركية اسبلة بغير لحية ...)) [4]، ويشير الى اعمالهم التي يزاولها ابناء هذه القبيلة: ((... يعملون بالرماح عملاً حسناً ...)) [5] بينمايصف قبيلة الخرلخ بقوله: ((... في بلادهم البغي والجور بينهم ظاهر ويغير بعضهم على بعض، والزنا... وهم اصحاب قمار ...)) [6].

ويصف لنا ابو دلف نساءهم (... تتميز نساؤهم بالجمال ...) [7]

---

[4] البجناك: شعب تركي قديم، ويطلق عليهم في بعض الاحيان بجنك .الكاشفردي، محمد محمود بن الحسين بن محمد، ديوان لغات الترك، (استنبول–1914)، ص45 .

[5] الرسالة ، ص 137 .

[1] القزويني، آثار البلاد، ص610؛ شيخ الربوة؛ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (بغداد–د. ت)، ص275؛ المقدسي، المطهر بن طاهر، ج4.

[2] ابن فضلان، الرسالة، ص 139 .

[3] الرسالة الاولى، ورقة 351

[4] الرسالة الاولى، ورقة 349 .

[5] المصدر نفسه، ورقة 349 .

[6] المصدر نفسه، ورقة 352؛ ياقوت الحموي معجم البلدان، ج3، ص447 .

[7] الرسالة الاولى، ورقة 352

جـ – الصقالبة [1] .

يصف لنا ابن فضلان الروسو مظهرهم الخارجي بقوله: ((... فلم ار اتم ابداناً منهم كأنهم النخل، شقر حمر...)) ويسترسل بوصف آلة الحرب التي يحملها كل واحد منهم قائلاً: ((... سيوفهم صفائح مشطية افرنجية ...)) [2]

ويقول ابن فضلان عنهم: ((...هم أقذر خلق الله لا يستنجسون ... ولا يغسلون ايديهم من الطعام، بل هم كالحمير الضالة ...)) [3].

2- الملبوسات.

أ – الغز

ـ اهالي الجرجانية

نظراً لقسوة المناخ في اقليم جرجان من انخفاض درجات الحرارة وبرودة الطقس في فصل الشتاء والفصول الاخرى نرى اهالي الجرجانية عند نومهم يتدثرون بالاكسية والفرى ويلبسون الجباب والبوستينات[4] من جلود الغنم لئلا تتشقق وتتكسر[5] ويستمر ابن فضلان في وصفه للملابس المعتادة لسكان الجرجانيه بقوله: ((...كان كل رجل منا عليه قرطق، وفوقه خفتان وفوقه بوستين وفوقه لبادة وبرنص لا تبدو منه الا عينيه–أي يرتديه–وسراويل طاق، وآخر مبطن وخف كيمخت، وفوق الخف خف آخر، فكان الواحد منا اذا ركب الجمل لم يقدر ان يتحرك لما عليه من الثياب...))[1].

ـ الجكل

يصف لنا ابو دلف لباس قبيلة جكل بقوله: ((... لباسهم الصوف والفراء ولا يلبسون عنهما...))[2] اما البغراج فان: ((...لباسهم اللبود لا يلبسون غيرها...))[3] ويستمر في وصفه

---

[1] الروس: تقع بلاد الروس بين البلغار على نهر اتل وبين الصقالية وترجع اصول الشعب الروسي الى اسلاف ويتميزون بالحمرة في الشعر والجلد. ابن رسته، الاعلاق النفسية، ص 145، الاصطخري، المسالك والممالك، ص229 .

[2] الرسالة، ص 175؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص835 .

[3] الرسالة، ص 177 .

[4] البوستينات: وهي عباءة من الجلد الغليظ او معطف كبير. دوزي ، معجم الملابس ، ص 72 .

[5] ابن فضلان، الرسالة، ص116–117 .

[1] المصدر نفسه، ص 118 – 119 .

[2] الرسالة الاولى ، ورقة 349 .

[3] المصدر نفسه ، ورقة 350 .

للقبائل التركية من الغزية والتغرغز: ((...يلبسون الكتان، ولا يلبسون الصوف، ... اما التغرغز...يلبسون القطن واللبود...))[4].

ب – الروس.

اعتاد سكان اقليم الروس على بعض الادوات للدفاع عن النفس مثل حمل الفأس والسيف والسكين كمااشارالى ذلك ابن فضلان بقوله: ((...لا يلبسون القراطق، ولا الخفاتين، ولكن للرجل منهم كساء يشتمل به على احد شقيه، ويخرج احدى يديه منه، ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه...)) [5].

جـ – الصقالبة [1]

يستمر ابن فضلان بوصفه لملابس الصقالبة فيذكر ذلك: ((...كلهم يلبسون قلانس[2]، فاذا ركب الملك...فاذا اجتاز في السوق لم يبق احد الا قام واخذ قلنسوته عن رأسه وجعلها تحت ابطه، فاذا جاوزهم ردوا قلانسهم الى رؤوسهم وكذلك كل من يدخل الى الملك من صغير وكبير حتى اولاده واخوته ساعة ينظرون اليه قد اخذوا قلانسهم فجعلوها تحت اباطهم، ثم اوموا اليه برؤوسهم ثم جلسوا ... ولا يخرج قلنسوته ولا يظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عن ذلك...))[3]

النص اعلاه يشير الى العادات والتقاليد التي سار عليها الصقالبة ،وهي تؤكد علىمعالم الاحترام والتقدير والاعتراف بمكانةالحاكم عندهم وهي صفات موروثه عن الاجداد قد تعارفت عليها الاجيال عبر العصور.

3- الطعام والشراب.

اول ما يشد المبعوث في اثناء رحلته هي اصناف الطعام والشراب التي تقدم اليه من الشعوب المار عليها وذلك لحاجته الماسة لها، وبعضها يستسيغه والبعض مما لا يتلاءم مع ذوقه او ديانته او طبيعته.

---

[4] المصدر نفسه ، ورقة 350 .

[5] الرسالة ، ص 175 ، ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج 2 ، ص 834 .

[1] الصقالبة: أجناس كثيرة من أجناسهم، الصبراية ودولاجة ونامجين زسرنين: ابو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الارشاد (بيروت–1968)، ص182.

[2] قلانس: جمع قلنسوة وهي لباس الرأس. دوزي، معجم الملابس، ص26 .

[3] الرسالة ، ص 159–160، القزويني، آثار البلاد، ص 615 .

أ – الترك .

ـ الجرجانية.

يسمي اهالي الجرجانية الخبز (بكند)، والجاورس[1]، والنمكسوذ[2] وللاتراك عاداتهم الخاصة باستقبال ضيوفهم فيقول ابن فضلان: ((...ومن مراسيم ضيافتهم –أي الغزية–لا يقدر احد من المسلمين ان يجتاز بلدهم حتى يجعل له منهم صديقاً ينزل عليه...حمل اليه من الغنم على قدره، حتى يتولى المسلم ذبحها لان الترك لا يذبحون انما يضرب الواحد منهم راس الشاة حتى تموت...)) [3].

ـ مجموعة من قبائل الترك.

يبين لنا ابو دلف اختلاف الوان الطعام وجودته باختلاف المناطق والاذواق والخيرات ونوعية الطقس ،فيصف لنا طعام قبيلة الخركاه بقوله: ((... يتغذى اهلها بالبر والشعير والدخن واصناف من اللحوم والبقول ...))[4]، اما النجا فانهم ((...يأكلون الدخن والعدس والحمص ... البوجناك ... يأكلون الدخن فقط ... الجكل يأكلون الشعير والجلبان ولحوم الغنم فقط، ولا يذبحون الابل ولا يقتنون البقر...عندهم نبات يعرف بالكيلكان طيب الطعم يطبخ مع اللحم...ويعملون من الدم والوادي البزي نبيذ يسكر سكراً شديداً...قبيلة البغراج...غذاؤهم الدخن ولحوم الذكران من الضأن وليس في بلدهم بقر ولا معز...ثم صرنا الى قبيلة تعرف بتبت...يتغذون البر والشعير والباقلي وساير اللحوم والسموك والبقول والاعناب والفواكه...كيماك...يأكلون الحمص والباقلي ولحوم ذكران الضأن والمعز ولا يرون ذبح الاناث منها وعندهم عنب نصف الحبة ابيض ونصفها اسود...الغز...يأكلون البر وليس لهم بقول ويأكلون لحوم الضأن والمعز الذكران والاناث...الخرخين...يأكلون الدخن والارز ولحوم البقر والماعز والضأن وساير اللحوم الا الجمال...الخرلخ...يأكلون الحمص والعدس ويعملون الشراب من الدخن ولا يأكلون اللحم المغمسة بالملح ... فطلخ ... يأكلون البر فقط ويأكلون ساير اللحوم غير مذكاة ... الخيتان... يأكلون الشعير والجلبان ولا يأكلون اللحم الا مذكاة...))[1].

---

[1] الجاورس: نبات يشبه حبة الارز. المنجد في الاعلام، ص 77 .

[2] النمكسوذ:لحم مجفف من غير تقدير.دوزي، المعجم،ج2،ص726، ابن فضلان، الرسالة، ص115–117.

[3] المصدر نفسه، ص125 .

[4] الرسالة الاولى، ورقة 349، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 446 .

[1] الرسالة الاولى، ورقة 349–353؛ الاصطخري، ابو اسحاق، ابراهيم بن معمر الفارسي، كتاب الاقاليم، مكتبة المثنى، (بغداد–د. ت)، ص5.

وهنالك امر فيه بعض الغرابة قد شد ابن فضلان فيقول عن الباشغرد: (...يأكلون القمل...فيقرض القمل باسنانه، ولقد كان معنا منهم واحد قد اسلم، وكان يخدمنا فرأيته وجد قملة في ثوبه فقصعها بظفره ثم لحسها وقال لما رآني:(جيد)) [2]

ب- الصقالبة

اما مراسيم الضيافة عند الصقالبة فتبدأ بتقديم الطعام للضيف ، يورد ابن فضلان جزءا من تلك المراسيم قائلاً: ((...فدعا بالمائدة فقدمت وعليها اللحم المشوي وحده، فابتدأ هو–أي ملك الصقالبة–فأخذ سكين وقطع لقمة وأكلها، وثانية، وثالثة، ثم احتز قطعة دفعها الى سوسن الرسول، فلما تناولها جاءته مائدة صغيرة فجعلت بين يديه، وكذلك الرسم، لا يمد احد يده الى الاكل حتى يناوله الملك لقمة، فساعة يتناولها قد جاءته مائدة، ثم ناولني فجاءتني مائدة...واكلنا كل واحد من مائدته...فلما أكلنا دعا بشراب العسل وهم يسمونه السجو...))[1].

ويستمر ابن فضلان بوصف غذائهم بقوله: ((..وأكثر أكلهم الجاورس ولحم الدابة[2] أما عن طريقة حفظهم للطعام فيذكر ابن فضلان ذلك (ليس لهم مواضع يجمعون فيها طعامهم، لكنهم يحفرون في الارض آباراً ويجعلون الطعام فيها...))[3].

ويسهب ابن فضلان في ذكره لانواع طعامهم لما فيه من غرابة ((ليس لهم زيت ولا شيرج[4] ولا دهن بته، وانما يقيمون مقام هذه الأدهان دهن السمك، فكل شيء يستعملونه فيه يكون زفر ويعملون من الشعير حساء يحسونه الجواري والغلمان، وربما طبخوا الشعير باللحم، فأكل الموالي اللحم واطعموا الجواري الشعير...))[5].

---

[2] الرسالة، ص138–139.

[1] الرسالة، ص145–146 .

[2] المصدر نفسه، ص158.

[3] المصدر نفسه، ص58.

[4] شيرج : دهن السمسم؛ المنجد في اللغة، ص448.

[5] الرسالة، ص159 .

1- المعتقدات.

أ- الترك.

- الغزية

يشير ابن فضلان الى طبيعة معتقد الغزية قائلاً: ((لا يدينون لله بدين، ولا يرجعون الى عقل، ولا يعبدون شيئا، بل يسمون كبراءهم ارباباً، فاذا استشار رئيسه في شيء قال له: ((يارب إيش اعمل في كذا وكذا ؟...)) [1].

ومن معتقداتهم انهم يقولون: ((لا اله الا الله محمد رسول الله (ρ)) تقرباً الى من يجتاز بينهم من المسلمين لا ايماناً منهم بذلك[2].

ويشير ابن فضلان في رسالة عن حسن علاقتهم مع صاحب الجيش في هذا الاقليم الذي مروا به قائلاً: ((... وقد اهدينا لصاحب جيش الغزية هدية من ثياب وزبيب وجوز وفلفل وجاروس ، فرأيت امرأته ... قد اخذت لحماً ولبناً وشيئاً مما اتحفناه به، وخرجت من البيوت الى الصحراء فحفرت حفرة ودفنت الذي كان معها فيها وتكلمت بكلام... هذه هدية للقطان ابي اترك، اهداها له العرب...))[1].

- الباشغرد

يعتقد هؤلاء بان ربهم يشبه الاحليل فاذا ارادوا سفر او لقاء عدو سجدوا لخشبة نحتوها على قدر الاحليل، وحجتهم في ذلك بقول احدهم: ((لاني خرجت من مثله فلست اعرف لنفسي خالقاً غيره))[2].

ويروي لنا ابن فضلان ما يتخذه شعوب هذه المناطق من ارباب لعباداتهم من الحيوانات وغيرها كل حسب اعتقاداته،وطقوسهم الدينية التي انشغلوا بها واحترموها، قائلاً: ((... ورأينا طائفة تعبد الحيات والسمك والكراكي[3] فعرفوني انهم كانوا يحاربون قوما من اعدائهم فهزموهم، وان الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهزموا بعدما هزموا، فعبدوا الكراكي لذلك وقالوا: ((هذه ربنا وهذه فعالاته، هزم اعداءنا فهم يعبدونها لذلك))[4].

- مجموعة من قبائل الترك.

---

[1] أبن فضلان ، الرسالة ، ص 122 .

[2] المصدر نفسه ، ص 123 .

[1] المصدر نفسه ، ص 132 .

[2] ابن فضلان ، الرسالة ، ص 139 .

[3] الكراكي : جمع كركي وهو طائر كبير . المنجد في اللغة ، ص 681 .

[4] الرسالة ، ص 140 ؛ القزويني ، اثار البلاد ، ص 610 .

يدين اهل الخركاه بدين الاسلام[1]، بينما كانت اهالي قبيلة النجا مشركون يعبدون ملك الطخ الطاخ ويسجدون له ويعظمون البقر، اما الطخ طاخ فلهم اصنام من الخشب[2].

ويصف ابو دلف قبيلة الدكل بقوله: ((...فيهم نضارى قليل...ويعبدون سهيلا وزحل والجوزاء وبنات النعش والجدي، ويسمون الشعرى اليمانية رب الارباب...))[3].

تحدث ابو دلف عن اصل ملك البغراج بقوله: ((البغراج، لهم ملك يذكر انه علوي من ولد يحيى بن زيد وعنده مصحف مذهب على ظهره ابيات شعر رثي بها زيد عليه السلام وهم يعبدون هذا المصحف وزيد عندهم ملك العرب وعلي بن ابي طالب اله العرب))[4].

ب – الروس.

يروى ابن فضلان معتقداتهم ((فعند ملاقاتهم لسفنهم يخرجون ومعهم خبز ولحم وبصل ونبيذ فيلاقون خشبة طويلة منصوبة، لها وجه انسان ويسجدون لها ذاكرين ما جلبوه من تجارة ثم يذكرون هديتهم اعتقاداً بانها سترزقهم ثم ينصرفوا))[5].

جـ - الصقالبة.

للصقالبه اهتمام كبير بالمعتقدات والعادات والتقاليد يقول ابن فضلان: ((...ورأيت الصقالبة يتبركون بعواء الكلاب ويفرحون به، ويقولون سنة خصب وبركة وسلامة...))[1].

((اذا رأوا انساناً له حركة ومعرفة بالاشياء قالوا: ((هذا حقه ان يخدم ربنا)) فاخذوه وجعلوا في عنقه حبلاً وعلقوه في شجرة حتى يتقطع))[2]

ويعتقد الصقالبة بوجود قوم يأجوج ومأجوج وانه يحول بينهم البحر[3].

2- مراسيم الزواج.

ولقد استطعنا من خلال ما ذكره المبعوثون في رحلاتهم العثور على وصف لمراسيم الزواج عند شعوب المناطق التي مروا بها، وقد اختلفت كل حسب طبيعته الدينية والاجتماعية.

---

[1] ابو دلف ، الرسالة الاولى ، ورقة 349 .

[2] المصدر نفسه ، ورقة 349.

[3] الرسالة الاولى ، ورقة 349.

[4] المصدر نفسه ، ورقة 350 .

[5] ابن فضلان، الرسالة، ص179؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص136.

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص726.

[2] ابن فضلان، الرسالة، ص161 .

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص113؛ابن الوردي، فريدة العجائب، ص109؛ القزويني، عجائب المخلوقات ، ص219 .

أ – بخارى.

((شروطهم في مهور نسائهم ان يدفع مهرها كذا الف درهم)) [4].

ب- الترك.

ـ الغزية.

يروى ابن فضلان طرق واساليب الزواج عند هذه القبيلة بوصفه:((... مراسيم الزواج عندهم ان يخطب الواحد منهم الى الاخر بعض حرمه: اما ابنته او اخته او بعض من يملك أمره على كذا وكذا ثوب خوارزمي، فاذا وافقه حملها اليه وربما كان المهر جمالاً او دواب او غير ذلك، وليس يصل الواحد الى امرأته حتى يوفي الصداق الذي قد وافق وليها عليه، فاذا وافاه اياه جاء غير محتشم حتى يدخل المنزل الذي هي فيه فيأخذها بحضرة ابيها وامها واخوتها فلا يمنعونه من ذلك [1] .

ـ الارمن.

((... لهم جمال ويزوجون أولادهم الذكور صغاراً، ويزعمون ان ذلك خير...))[2].

ـ الجكل.

ويروي ابو دلف عادات الجكل بقوله: ((... يتزوج الرجل بابنته واخته وساير محارمه وليسوا مجوساً ولكن هذا مذهبهم بالنكاح...))[3].

ـ الخطلخ.

اما مراسيم الزواج عند الخطلخ ((... يتزوجون الاخوات، ولا يتزوج المرأة اكثر من زوج واحد فاذا مات لم تتزوج بعده ولهم رأي وتدبير من زنا في بلدهم احرق هو والتي يزني بها وليس لهم طلاق والمهر ملك الرجل، وملكهم لا يتزوج فان تزوج قتل))[4].

---

[4] ابن فضلان ، الرسالة ، ص110 .

[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص124–125 .

[2] ابن رسته، الاعلاق النفسية ، ص133.

[3] الرسالة الاولى، ورقة 349؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص447.

[4] ابو دلف ، الرسالة الاولى ، ورقة 352 – 353 .

3- الموتى ودفنهم.

أ – خوارزم.

ولاهل خوارزم بعض العادات والتقاليد المقاربة لعادات المسلمين ولاسيما في ناحية غسل الميت قبل الدفن ((...واذا مات المسلم عندهم...غسلوه غسل المسلمين، وحملوه على عجلة تجره وبين يديه مطرد[1]...يدفنونه...ولا تبكي النساء على الميت، بل الرجال...فاذا انقضى بكاؤهم وافى العبيد ومعهم جلود مظفورة...يضربون جنوبهم...ينصبون بباب قبته مطرداً، ويحضرون سلاحه، فيجعلونها حول قبره...))[2] .

ب- الترك.

- الغزية .

(... اذا مات الرجل وله زوجة واولاد تزوج الاكبر من ولده بامرأته اذا لم تكن امه...)[3]. ويستمر ابن فضلان في وصفه لمراسيم الارث عند الغزية قائلاً: ((... فان التاجر في وجهه ذلك وعادت القافلة، لقيهم التركي وقال: (أين ضيفي) ؟ فان قالوا: (مات) حط القافلة ثم جاء الى أنبل تاجر يراه فيهم فحلَّ متاعه وهو ينظر، فأخذ من دراهمه مثل حاله عند ذلك التاجر بغير زيادة حبه، وكذلك يأخذ من دوابه وجماله وقال: (ذلك ابن عمك وانت احق من غرم عنه). وان فرَّ فعل ايضاً ذلك الفعل وقال له: (ذلك مسلم مثلك خذ انت منه) وان لم يوافق المسلم ضيفه في الجادة سأل عن بلاده: (اين هو) ؟ فاذا ارشد اليه سار في طلبه مسيرة ايام حتى يصير اليه ويرفع ماله عنده، وكذلك ما يهديه لهم.[1]أما طريقه دفن الرجل بعد موته فكانوا يتبعون العادات التي يوردها لنا ابن فضلان قائلاً: (... واذا مات الرجل منهم حفروا حفرة كبيرة كهيئة البيت، وعمدوا اليه فالبسوه قرطقه ومنطقته وقوسه وجعلوا في يده قدماً من خشب فيه نبيذ، وجاءوا بكل ماله فجعلوه معه في ذلك البيت ... فقتلوا منها مئة رأس الى مئتي رأس ... وأكلوا لحومها الا الرأس والقوائم والجلد والذنب فانهم يصلبون ذلك على الخشب، وقالوا: (هذه دوابه يركبها الى الجنة)...))[2].

جـ – الصقالبة

---

[1] مطرد : هو الراية واللواء . دوزي ، معجم الملابس ، ج2 ، ص34 .

[2] ابن فضلان ، الرسالة ، ص170.

[3] نفس المصدر ، ص125 .

[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص126 .

[2] المصدر نفسه ، ص130-131 .

اماعادات الصقالبة عملية دفن الميت والميراث فلهم طريقه خاصه ،في فقد اورد لنا ابن فضلان هذا النص بخصوص الميراث عندهم قائلاً : ((.. واذا مات منهم الرجل ورثه أخوه دون ولده)) [3].

فاذا قتل رجل – أي الصقالبة – منهم الرجل عمداً أقادوه به واذا قتله خطأ صنعوا له صندوقاً من خشب الخرنك وجعلوه في جوفه وسمروه عليه ، وجعلوا معه ثلاثة ارغفة وكوز ماء ، ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح ، وعلقوه بينها وقالوا: ((نجعله بين السماء والارض ويصيبه المطر والشمس ، لعل الله ان يرحمه)). فلا يزال معلقاً حتى يبليه الزمان وتهب به الرياح[1].

د- الصقالبة.

اتصفت العادات والتقاليد التي يتبعها الروس بالغرابه في مراسيم الدفن والميراث (اذا مرض منهم احد ضربوا له خيمة ناحية عنهم، وطرحوه فيها ووضعوا معه الخبز والماء، ولا يقربونه، فاذا شفي رجع اليهم، وان مات أحرقوه ...)[2].

واهم ما يميز الروس هي مراسيم الدفن التي يتخذونها عند موت احد رؤسائهم وضعوه في القبر عشرة ايام واحاطوا ثيابه بثلث ماله، والثلث الآخر لاهله، والثلث الآخر نبذوا به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها.

وتتطوع هذه الجارية للموت مع سيدها وتوكل الى جاريتين لخدمتها. والجارية كل يوم تشرب وتغني فرحة ومستبشرة [3].

وعند مجيء اليوم الذي تحرق فيه مع مولاها تحضر الى النهر الذي فيه سفينته فتحضر امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت . وتفرش على السرير الفرش بعدها يستخرجون الميت وقد اسود لبرد البلاد وحملوا معه النبيذ والفاكهة التي كانت معه .

ألبسوه الملابس وجعلوا على رأسه قلنسوة وأدخلوه السفينة [1].

جاءوا بخبز ولحم وبصل، وكلب قطعوه نصفين، ودابتين قطعوهما بالسيف وألقوا لحمهما بالسفينة وكذلك بقرتين، وديكاً ودجاجة [2] .

---

[3] المصدر نفسه ، ص160 .

[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص161 .

[2] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص837 .

[3] ابن فضلان ، الرسالة ، ص181 .

[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص181 .

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاءوا بالجارية، وبعد اجراء مجموعة من الطقوس، تنزع سوارين وتعطيهما لملك الموت، وخالين للجاريتين اللتين كانتا تخدمانها [3].

ثم تصعد الى السفينة وتشرب النبيذ وتدخل الى القبة التي فيها مولاها ومعها العجوز، في حين يقوم الرجال بالضرب على التراس كي لا يسمع صوت صياحها بعدها تضع العجوز أي ملك الموت في عنقها حبلا وتخنقها ثم تدخل بين اضلاعها خنجراً حتى تموت ثم يأتي اقرب الناس للميت فيأخذ خشبة فيشعلها بالنار فيحرقون السفينة بعد ان يضعوا الجارية التي قتلوها جنب مولاها اعتقاداً منهم بأنه يدخل الجنة [1] .

بعدها يبنون موضع شبيه بالتل المدور وفي وسطه خشبة كبيرة ، كتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس [2] .

الحضارة.

1- البلدات

ـ سندابل.

يصف لنا ابو دلف الهيكل العمراني لهذه المدينة فيذكر لنا عظمتها وسعة شوارعها قائلاً: ((... هي مدينة عظيمة لها ستون شارعاً ينفذ كل شارع الى دار الملك ثم الى باب من ابوابها....)) [3]

اشار ابو دلف الى ان هذه المدينة كانت لها اسوار خاصة اذ كانت الظروف تقتضي سلامة السكان والدفاع عن المدينة في الاوقات التي كانت تتعرض فيها لخطر خارجي ((... وارتفاع سورها تسعون ذراعاً وعلى رأس السور نهر عظيم يتفرق على ستين جزء كل جزء منها ينزل على باب من الابواب ... ثم يخرج نصفه تحت السور فيسقي البساتين ويرجع نصفه الى المدينة)) [1] .

2- البيوت.

تشكل البيوت في المدن احدى المظاهر العمرانية ويرتبط بناء البيوت واشكالها بدرجة رقي المدينة ومظاهرها الحضارية لذا كان للمبعوثين وقفة عند بيوت هذه الشعوب وهي :

---

[2] المصدر نفسه ، ص183 .

[3] المصدر نفسه ، ص185.

[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص185 .

[2] المصدر نفسه ، ص186 .

[3] الرسالة الاولى ، ورقة 354 .

[1] المصدر نفسه ، ورقة 354 .

أ – الترك.

ـ الجرجانية.

يسكن اهالي الجرجانية بين في جوف بيتاً وفيه قبة لبود تركية لشدة البرد فيها[3] .

ـ الغزية.

امتازت قبيلة الغزيه بالعادات والتقاليد في طريقة العيش وتسكن في الخيام كما وصفهم ابن فضلان: ((... قبائل بدوية بيوتهم من الشعر وترى منهم الابيات، في كل مكان ، ومثلها في كل مكان آخر على عمل البادية وتنقلهم ...))[3] ، وهذا يدل على حالة عدم الاستقرار التي كانوا يعيشون فيها اذ التنقل وحياة البداوة هي التي مثلت اشكال بيوتهم.

ـ الجكل.

يذكر ابو دلف وصفا غريباً لبيوت الجكل بقوله : ((... الجكل يسكنون بيوتاً من خشب العظام ...)) [1] .

توجد في بلاد الترك ارض خراب وهي مجموعة من المدن الخربة ، يذكر السكان المحيطون بها بأنها ارض يأجوج ومأجوج [2] .

ب – الصقالبة.

امتازت دور سكن الصقالبة بانها عبارة عن قباب كبيرة ، ويبالغ ابن فضلان بوصفه لقبة ملك الصقالبة: ((...الا ان قبة الملك كبيرة جداً تسع الف نفس او اكثر، مفروشة بالفرش الارمني، وله في وسطها سرير مغشى بالديباج الرومي...)) [3] .

جـ – الروس.

يسترسل ابن فضلان باهتمام في وصفه لبيوت الروس من حيث الموقع والحجم والمادة المستعملة في البناء والقدرة الاستيعابية للبيت الواحد ((...يبنون ويبنون على شطه – أي نهر اتل – بيوتاً كباراً من الخشب ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والاقل والاكثر ولكل واحد سرير يجلس عليه...)) [1] .

---

[2] ابن فضلان ، الرسالة ، ص116 .

[3] المصدر نفسه ، ص122 .

[1] الرسالة الاولى ، ص349 .

[2] ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص163 .

[3] ابن فضلان ، الرسالة ، ص160.

[1] المصدر نفسه ، ص177 .

المالية :

يشكل الجانب الاقتصادي احد الجوانب المهمة لحياة الشعوب المختلفة التي يمكن ان تشد المبعوث وتجلب انتباهه كامور السوق من بيع وشراء وانواع العملات النقدية المتداوله كواسطه لعملية البيع والشراء فضلاعن الى الضرائب التي تجبى من تلك الشعوب .

1- السكة

أ – بخارى.

يعرض لنا ابن فضلان انواع العملات التي كانت هناك: ((... الدراهم ببخارى الوان شتى. منها دراهم يقال لها الغطريفيه: وهي نحاس وشبه وصفر، يؤخذ منها عدد بلا وزن، مئة منها بدرهم فضة...ولهم دراهم اخر صفر وحدة، اربعون منها بدانق. ولهم ايضاً دراهم صفر يقال السمرقنديه، ستون منها بدانق...)) [2] .

ب- خوارزم.

((...ورأيت دراهم خوارزم مزيفة، ورصاصا وزيوفاً وصفر، ويسمون الدرهم طازجا، ووزنه اربعة دوانيق ونصف الصيرفي منهم يبيع الكعاب والدومات والدراهم...))[1].

2- الضرائب.

أ – الترك.

ينقل لنا ابن فضلان نوع الضرائب التي كان يتقاضاها ملوك الترك على الافراد سواء كانت نقدية ام عينية، يأخذ ملك الترك على الغرباء عند مرورهم في ارضه خفتان جرجانية تساوي عشرة دراهم، وشقة باي باف [2]، وأقراص خبز وكف زبيب ومئة جوزة...)) [3] يذكر ابو دلف الضريبة التي يؤديها اهل تبت بقوله: ((...يؤدي اهالي مدينة التبت الخراج العلوي البغراجي...))[4].

---

[2] الرسالة ، ص110 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص484 .

[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص113 .

[2] باي باف: هو لباس للمرأة . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص323 .

[3] ابن فضلان ، الرسالة ، ص128 – 129 .

[4] ابو دلف ، الرسالة الاولى ، ورقة 350 .

ب- الصقالبة .

اما عن الضريبة في بلد الصقالبة، فان الحنطة والشعير كثير وكل من زرع شيء اخذه لنفسه، ليس للملك فيه حق، غير انهم يؤدون اليه في كل سنة من كل بيت جلد سمور. واذا امر سرية بالغارة على بعض البلدان فغنمت كان له معهم حصة[1].

3- الحالة الاقتصادية.

أ – الترك.

خلال مرور المبعوث ببعض الشعوب يتكون عندهم انطباعات ومؤثرات عن الحالة المادية لهذا الشعب وغيره، يرى ابن فضلان ان قبيلة البجناك بالموازنة مع قبيلة الغزية ((...فقراء خلاف الغزية. لاني رأيت من الغزية من يملك عشرة آلاف دابة، ومئة ألف رأس من الغنم ، وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحث باظلافها تطلب الحشيش، فاذا لم تجده قظمت الثلج وسمنت غاية السمن ، فاذا كان الصيف واكلت الحشيش هزلت ...)) [2] .

ب- الروس.

وللروس عاداتهم الغريبة بالتعبير عن حالتهم المادية ((... كل امرأة منهم فعلى ثديها حقة مشدودة اما من حديد او من فضة واما نحاس واما ذهب ، على قدر مال زوجها ومقداره، وفي كل حقة حلقة فيها سكين مشدود على الثدي ايضاً. وفي اعناقهن اطواق من ذهب وفضة ، لان الرجل اذا ملك عشرة آلاف درهم صاغ لامرأته طوقاً وان ملك عشرين الف صاغ لها طوقين ... فربما كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة ...)) [1]

---

[1] ابن فضلان ، الرسالة ، ص158 .

[2] ابن فضلان ، الرسالة ، ص137 .

[1] ابن فضلان، الرسالة، ص176؛ الكسندر سيبيل، اخبار امم المجوس من الارمان وورنك والروس، مكتبة المثنى (بغداد–د.ت)، ص49.

مـلـحـق

النص الحرفي لرحلة ابن فضلان

- ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (عاش في القرن الرابع الهجري). رسالة ابن فضلان مخطوطة ،مصورة، فرانكفورت (المانيا-1987)،.

فاتحة الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم
قال أحمد بن فضلان :
لما وصل كتاب ألمش بن يلطوار ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام ويبني له مسجدا وينصب له منبرا ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب إلى ما سأل من ذلك.
وكان السفير له نذير الحرمي فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدى إليه والإشراف على الفقهاء والمعلمين وسبب له بالمال المحمول إليه لبناء ما ذكرناه وللجراية على الفقهاء والمعلمين على الضيعة المعروفة بأرثخشمثين من أرض خوارزم من ضياع ابن الفرات.
وكان الرسول إلى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له عبد الله بن باشتو الخزري والرسول من جهة السلطان سوسن الرسي مولى نذير الحرمي وتكين التركي وبارس الصقلابي وأنا معهم على ما ذكرت فسلمت إليه الهدايا له ولامرأته ولأولاده واخوته وقواده وأدوية كان كتب إلى نذير يطلبها.

العجم والأتراك
فرحلنا من مدينة السلام يوم الخميس لأحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة تسع وثلاثمئة فأقمنا بالنهر وإن يوماً واحداً ورحلنا مجدين حتى وافينا الدسكرة فأقمنا بها ثلاثة أيام ثم رحلنا قاصدين لا نلوي على شيء حتى صرنا إلى حلوان فأقمنا بها يومين.
وسرنا منها إلى قرميسين فأقمنا بها يومين ثم رحلنا فسرنا حتى وصلنا إلى همذان فأقمنا بها ثلاثة أيام.
ثم سرنا حتى قدمنا ساوة فأقمنا بها يومين ومنها إلى الري فأقمنا بها أحد عشر يوماً ننتظر أحمد ابن علي أخا صعلوك لأنه كان بخوار الري.
ثم رحلنا إلى خوار الري فأقمنا بها ثلاثة أيام ثم رحلنا إلى سمنان ثم منها إلى الدامغان صادفنا بها ابن قارن من قبل الداعي فتنكرنا في القافلة وسرنا مجدين حتى قدمنا نيسابور وقد قتل ليلى بن نعمان فأصبنا بها حمويه كوسا صاحب جيش خراسان.
ثم رحلنا إلى سرخس ثم منها إلى مرو ثم منها إلى قشمهان وهي طرف مفازة آمل فأقمنا بها ثلاثة أيام نريح الجمال لدخول المفازة.
ثم قطعنا المفازة إلى آمل ثم عبرنا جيحون وصرنا إلى آفرير رباط طاهر بن علي.
ثم رحلنا إلى بيكند ثم دخلنا بخارا وصرنا إلى الجيهاني وهو كاتب أمير خراسان وهو يدعى

بخراسان الشيخ العميد فتقدم بأخذ دار لنا وأقام لنا رجلاً يقضي حوائجنا ويزيح عللنا في كل ما نريد فأقمنا أياماً.
ثم استأذن لنا على نصر بن أحمد فدخلنا إليه وهو غلام أمرد فسلمنا عليه بالإمرة وأمرنا بالجلوس فكان أول ما بدأنا به أن قال: كيف خلفتم مولاي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وسلامته في نفسه وفتيانه وأوليائه فقلنا: بخير قال: زاده الله خيراً.
ثم قرئ الكتاب عليه بتسلم أرثخشمثين من الفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات وتسليمها إلى أحمد بن موسى الخوارزمي وإنفاذنا والكتاب إلى صاحبه بخوارزم بترك العرض لنا والكتاب بباب الترك ببذرقتنا وترك العرض لنا.
فقال: وأين أحمد بن موسى فقلنا: خلفناه بمدينة السلام ليخرج خلفنا لخمسة أيام فقال: سمعاً وطاعة لما أمر به مولاي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه.
قال: واتصل الخبر بالفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات فأعمل الحيلة في أمر أحمد بن موسى وكتب إلى عمال المعاون بطريق خراسان من جند سرخس إلى بيكند: أن أذكوا العيون على أحمد بن موسى الخوارزمي في الخانات والمراصد وهو رجل من صفته ونعته فمن ظفر به فليعتقله إلى أن يرد عليه كتابنا بالمسألة فأخذ بمرو وأعتقل.
وأقمنا نحن ببخارا ثمانية وعشرين يوماً وقد كان الفضل بن موسى أيضاً واطأ عبد الله بن باشتو وغيره من أصحابنا يقولون: إن أقمنا هجم الشتاء وفاتنا الدخول وأحمد بن موسى إذا وافانا لحق بنا.
قال: ورأيت الدراهم ببخارا ألواناً شتى منها دراهم يقال لها الغطريفية: وهي نحاس وشبه وصفر يؤخذ منها عدد بلا وزن مئة منها بدرهم فضة وإذا شروطهم في مهور نسائهم: تزوج فلان ابن فلان فلانة بنت فلان على كذا وكذا ألف درهم غطريفية وكذلك أيضاً شراء عقارهم وشراء عبيدهم لا يذكرون غيرها من الدراهم ولهم دراهم أخر صفر وحده أربعون منها بدانق ولهم أيضاً دراهم صفر يقال لها السمرقندية ستة منها بدانق.

(1/1)

فلما سمعت كلام عبد الله بن باشتو وكلام غيره يحذرونني من هجوم الشتاء رحلنا من بخارا راجعين إلى النهر فتكارينا سفينة إلى خوارزم والمسافة إليها من الموضع الذي اكترينا منه السفينة أكثر من مئتي فرسخ فكنا نسير بعض النهار ولا يستوي لنا سيره كله من البرد وشدته إلى أن قدمنا خوارزم فدخلنا على أميرها محمد ابن عراق خوارزم شاه فأكرمنا وقربنا وأنزلنا داراً فلما كان بعد ثلاثة أيام أحضرنا وناظرنا في الدخول إلى بلد الترك وقال: لا آذن لكم في ذلك ولا يحل إلي ترككم تغررون بدمائكم وأنا أعلم أنها حيلة أوقعها هذا الغلام يعني تكين لأنه كان عندنا حداداً وقد وقف على بيع الحديد ببلد الكفار وهو الذي غر نذيرا وحمله على كلام أمير المؤمنين وإيصال كتاب ملك الصقالبة إليه والأمير الأجل يعني أمير خراسان كان أحق بإقامة الدعوة لأمير المؤمنين في ذلك البلد لو وجد محيصاً ومن بعد فبينكم وبين هذا البلد الذي تذكرون ألف قبيلة من الكفار وهذا تمويه على السلطان وقد نصحتكم.
ولا بد من الكتاب إلى الأمير الأجل حتى يراجع السلطان أيده الله في المكاتبة وتقيمون أنتم إلى وقت يعود الجواب فانصرفنا عنه ذلك اليوم ثم عاودناه ولم نزل نرفق به ونقول: هذا أمر أمير المؤمنين وكتابه فما وجه المراجعة فيه حتى أذن لنا فانحدرنا من خوارزم إلى الجرجانية وبينها وبين خوارزم في الماء خمسون فرسخاً.
ورأيت دراهم خوارزم مزيفة ورصاصاً وزيوفاً وصفراً ويسمون الدرهم طازجة ووزنه أربعة دوانيق ونصف والصيرفي منهم يبيع الكعاب والدوامات والدراهم.
وهم أوحش الناس كلاماً وطبعاً كلامهم أشبه شيء بصياح الزرازير وبها قرية على يوم يقال لها أردكو أهلها يقال لهم الكردلية كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع وهم يتبرؤون من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في دبر كل صلاة.

فأقمنا بالجرجانية أياماً وجمد نهر جيحون من أوله إلى آخره وكان سمك الجمد سبعة عشر شبراً وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل فأقام على ذلك ثلاثة أشهر.
فرأينا بلداً ما ظننا إلا أن باباً من الزمهرير قد فتح علينا منه ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ريح عاصف شديدة وإذا أتحف الرجل من أهله صاحبه وأراد بره قال له: تعال إلي حتى نتحدث فإن عندي ناراً طيبة هذا إذا بالغ في بره وصلته إلا أن الله تعالى قد لطف بهم في الحطب أرخصه عليهم: حمل عجلة من حطب الطاغ بدرهمين من دراهمهم تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل.
ورسم سؤالهم أن لا يقف السائل على الباب بل يدخل إلى دار الواحد منهم فيقعد ساعة عند ناره يصطلي ثم يقول: بكند يعني الخبز فإن أعطوه شيئاً أخذ وإلا خرج.
وتطاول مقامنا بالجرجانية وذلك أنا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وكان طول مقامنا من جهة البرد وشدته ولقد بلغني أن رجلين ساقا اثني عشر جملاً ليحملاً عليها حطباً من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحراقة وأنهما باتا بغير نار فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد.
ولقد رأيت لهواء بردها بأن السوق بها والشوارع لتخلو حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق فلا يجد أحداً ولا يستقبله إنسان ولقد كنت أخرج من الحمام فإذا دخلت إلى البيت نظرت إلى لحيتي وهي قطعة واحدة من الثلج حتى كنت أدنيها إلى النار.
ولقد كنت أنام في بيت جوف بيت وفيه قبة لبود تركية وأنا مدثر بالأكسية والفرى فربما التصق خدي على المخدة ولقد رأيت الجباب بها تكسي البوستينات من جلود الغنم لئلا تتشقق وتنكسر فلا يغني ذلك شيئاً.
ولقد رأيت الأرض تنشق فيها أودية عظام لشدة البرد وأن الشجرة العظيمة العادية لتنفلق بنصفين لذلك فلما انتصف شوال من سنة تسع وثلاثمئة أخذ الزمان في التغير وانحل نهر جيحون وأخذنا نحن فيما نحتاج إليه من آلة السفر واشترينا الجمال التركية واستعملنا السفر من جلود الجمال لعبور الأنهار التي نحتاج أن نعبرها في بلد الترك وتزودنا الخبز والجاورس والنمكسوذ لثلاثة أشهر.
(2/1)
وأمرنا من كنا نأنس به من أهل البلد بالاستظهار في الثياب والاستكثار منها وهولوا علينا الأمر وعظموا القصة فلما شاهدنا ذلك كان أضعاف ما وصف لنا فكان كل رجل منا عليه قرطق وفوقه خفتان وفوقه بوستين وفوقه لبادة وبرنس لا تبدو منه إلا عيناه وسراويل طاق وآخر مبطن وران وخف كيمخت وفوق الخف خف آخر فكان الواحد منا إذا ركب الجمل لم يقدر أن يتحرك لما عليه من الثياب وتأخر عنا الفقيه والمعلم والغلمان الذين خرجوا معنا من مدينة السلام فزعا من الدخول إلى ذلك البلد وسرت أنا والرسول وسلف له والغلامان تكين وبارس.
فلما كان في اليوم الذي عزمنا فيه على المسير قلت: لهم يا قوم معكم غلام الملك وقد وقف على أمركم كله ومعكم كتب السلطان ولا أشك أن فيها ذكر توجيه أربعة آلاف دينار المسيبية له وتصيرون إلى ملك أعجمي فيطالبكم بذلك فقالوا: لا تخش من هذا فإنه غير مطالب لنا فحذرتهم وقلت: أنا أعلم أنه يطالبكم فلم يقبلوا.
واستدف أمر القافلة واكترينا دليلاً يقال له قلواس من أهل الجرجانية ثم توكلنا على الله عز وجل وفوضنا أمرنا إليه ورحلنا من الجرجانية يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمئة فنزلنا رباطاً يقال له زمجان وهو بباب الترك ثم رحلنا من الغد فنزلنا منزلاً يقال له جيت وجاءنا الثلج حتى مشت الجمال إلى ركبها فيه فأقمنا بهذا المنزل يومين.
ثم أوغلنا في بلد الترك لا نلوي على شيء ولا يلقانا أحد في برية قفر بغير جبل فسرنا فيها عشرة أيام ولقد لقينا من الضر والجهد والبرد الشديد وتواصل الثلوج الذي كان برد خوارزم عنده مثل أيام الصيف ونسينا كل ما مر بنا وأشرفنا على تلف الأنفس.

ولقد أصابنا في بعض الأيام برد شديد وكان تكين يسايرني وإلى جانبه رجل من الأتراك يكلمه بالتركية فضحك تكين وقال: إن هذا التركي يقول: لك أي شيء يريد ربنا منا هو ذا يقتلنا بالبرد ولو علمنا ما يريد لرفعناه إليه فقلت له: قل له يريد منكم أن تقولوا لا إله إلا الله فضحك وقال: لو علمنا لفعلنا ثم صرنا بعد ذلك إلى موضع فيه من حطب الطاغ شيء عظيم فنزلناه وأوقدت القافلة واصطلوا ونزعوا ثيابهم وشرورها.
ثم رحلنا فما زلنا نسير في كل ليلة من نصف الليل إلى وقت العصر أو إلى الظهر بأشد سير يكون وأعظمه ثم ننزل فلما سرنا خمس عشرة ليلة وصلنا إلى جبل عظيم كثير الحجارة وفيه عيون تنجرف عبره وبالحفرة تستقر الماء.
فلما قطعناه أفضينا إلى قبيلة من الأتراك يعرفون بالغزية وإذا هم بادية لهم بيوت شعر يحلون ويرتحلون ترى منهم الأبيات في كل مكان ومثلها في مكان آخر على عمل البادية وتنقلهم وإذا هم في شقاء وهم مع ذلك كالحمير الضالة لا يدينون لله بدين ولا يرجعون إلى عقل ولا يعبدون شيئاً بل يسمون كبراءهم أرباباً فإذا استشار أحدهم ريئسه في شيء قال له: يا رب إيش أعمل في كذا وكذا وأمرهم شورى بينهم غير أنهم متى اتفقوا على شيء وعزموا عليه جاء أرذلهم وأخسهم فنقض ما قد أجمعوا عليه.
وسمعتهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله تقرباً بهذا القول إلى من يجتاز بهم من المسلمين لا اعتقاداً لذلك وإذا ظلم أحد منهم أو جرى عليه أمر يكرهه رفع رأسه إلى السماء وقال: بير تنكري وهو بالتركية الله الواحد لأن بير بالتركية واحد وتنكري: الله بلغة الترك. ولا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا غير ذلك وليس بينهم وبين الماء عمل خاصة في الشتاء ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم كذلك لا تستر المرأة شيئاً من بدنها عن أحد من الناس.
ولقد نزلنا يوماً على رجل منهم فجلسنا وامرأة الرجل معنا فبينا هي تحدثنا إذ كشفت فرجها وحكته ونحن ننظر إليها فسترنا وجوهنا وقلنا: أستغفر الله فضحك زوجها وقال للترجمان: قل لهم تكشفه بحضرتكم فترونه وتصونه فلا يوصل إليه هو خير من أن تغطيه وتمكن منه وليس يعرفون الزنا ومن ظهروا منه على شيء من فعله شقوه بنصفين وذلك أنهم يجمعون بين أغصان شجرتين ثم يشدونه بالأغصان ويرسلون الشجرتين فينشق الذي شد إليهما.

(3/1)

وقال بعضهم وسمعني أقرا قرآناً فاستحسن القرآن وأقبل يقول للترجمان قل له: لا تسكت وقال لي هذا الرجل يوماً على لسان الترجمان: قل لهذا العربي: ألربنا عز وجل امرأة فاستعظمت ذلك وسبحت الله واستغفرته فسبح واستغفر كما فعلت وكذلك رسم التركي كلما سمع المسلم يسبح ويهلل قال مثله.
ورسوم تزويجهم وهو أن يخطب الواحد منهم إلى الآخر بعض حرمه: إما ابنته أو أخته أو بعض من يملك أمره على كذا وكذا ثوب خوارزمي فإذا وافقه حملها إليه وربما كان المهر جمالاً أو دواب أو غير ذلك وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصداق الذي قد وافق وليها عليه فإذا وفاه إياه جاء غير محتشم حتى يدخل إلى المنزل الذي هي فيه فيأخذها بحضرة أبيها وأمها وإخوتها فلا يمنعونه من ذلك.
وإذا مات الرجل وله زوجة وأولاد تزوج الأكبر من ولده بامرأته إذا لم تكن أمه ولا يقدر أحد من التجار ولا غيرهم أن يغتسل من جنابة بحضرتهم إلا ليلا من حيث لا يرونه وذلك أنهم يغضبون ويقولون: هذا يريد أن يسحرنا لأنه قد تفرس في الماء ويغرمونه مالا.
ولا يقدر أحد من المسلمين أن يجتاز ببلدهم حتى يجعل له منهم صديقاً ينزل عليه ويحمل له من بلد الإسلام ثوباً ولامرأته مقنعة وشيئاً من فلفل وجاورس وزبيب وجوز فإذا قدم على صديقه ضرب له قبة وحمل إليه من الغنم على قدره حتى يتولى المسلم ذبحها لأن الترك لا يذبحون وإنما يضرب الواحد منهم رأس الشاة حتى تموت.

وإذا أراد الرجل منهم الرحيل وقد قام عليه شيء من جماله ودوابه أو احتاج إلى مال ترك ما قد قام عند صديقه التركي وأخذ من جماله ودوابه وماله حاجته ورحل فإذا عاد من الوجه الذي يقصده قضاه ماله ورد إليه جماله ودوابه.
وكذلك لو اجتاز بالتركي إنسان لا يعرفه ثم قال: أنا ضيفك وأنا أريد من جمالك ودوابك ودراهمك دفع إليه ما يريد فإن مات التاجر في وجهه ذلك وعادت القافلة لقيهم التركي وقال أين ضيفي فإن قالوا: مات حط القافلة ثم جاء إلى أنبل تاجر يراه فيهم فحل متاعه وهو ينظر فأخذ من دراهمه مثل ماله عند ذلك التاجر بغير زيادة حبة وكذلك يأخذ من دوابه وجماله وقال: ذلك ابن عمك وأنت أحق من غرم عنه وإن فر فعل أيضاً ذلك الفعل وقال له ذلك مسلم مثلك خذ أنت منه وإن لم يوافق المسلم ضيفه في الجادة سأل عن بلاده: أين هو فإذا أرشد إليه سار في طلبه مسيرة أيام حتى يصير إليه ويرفع ماله عنده وكذلك ما يهديه له.
وهذه أيضاً سبيل التركي إذا دخل الجرجانية سأل عن ضيفه فنزل عليه حتى يرتحل ومتى مات التركي عند صديقه المسلم واجتازت القافلة وفيها صديقه قتلوه وقالوا: أنت قتلته بحبسك إياه ولو لم تحبسه لما مات وكذلك إن سقاه نبيذا فتردى من حائط قتلوه به فإن لم يكن في القافلة عمدوا إلى أجل من فيها فقتلوه.
وأمر اللواط عندهم عظيم جداً ولقد نزل على حي كوذركين وهو خليفة ملك الترك رجل من أهل خوارزم فأقام عند ضيف له مدة في ابتياع غنم وكان للتركي ابن أمرد فلم يزل الخوارزمي يداريه ويراوده عن نفسه حتى طاوعه على ما أراد وجاء التركي فوجدهما في بنيانهما فرفع التركي ذلك إلى كوذركي فقال له: اجمع الترك فجمعهم فلما اجتمعوا قال للتركي: بالحق تحب أن أحكم أم بالباطل قال: بالحق قال: أحضر ابنك فأحضره فقال: يجب عليه وعلى التاجر أن يقتلا جميعاً فامتعض التركي من ذلك وقال: لا أسلم ابني فقال: فيفتدي التاجر نفسه ففعل ودفع للتركي غنماً للفعل بابنه ودفع إلى كوذركين أربعمئة شاة لما رفع عنه وارتحل عن بلد الترك فأول من لقينا من ملوكهم ورؤسائهم ينال الصغير وقد كان أسلم فقيل له: إن أسلمت لم ترؤسنا فرجع عن إسلامه فلما وصلنا إلى الموضع الذي هو فيه قال: لا أتركك تجوزون لأن هذا شيء ما سمعنا به قط ولا ظننا أنه يكون فرفقنا به إلى أن رضي بخفتان جرجاني يساوي عشرة دراهم وشقة باي باف وأقراص خبز وكف زبيب ومئة جوزة فلما دفعنا هذا إليه سجد لنا وهذا رسمهم إذا أكرم الرجل الرجل سجد له وقال: لولا أن بيوتي نائية عن الطريق لحملت إليكم غنما وبرا وانصرف عنا وارتحلنا.
(4/1)
فلما كان من غد لقينا رجل واحد من الأتراك دميم الخلقة رث الثياب قميء المنظر خسيس المخبر وقد أخذنا مطر شديد فقال: قفوا فوقفت القافلة بأسرها وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ثم قال: ليس يجوز منكم أحد فوقفنا طاعة لأمره فقلنا له: نحن أصدقاء كوذركين فأقبل يضحك ويقول: من كوذركين أنا أخرى على لحية كوذركين ثم قال: بكند يعني الخبز بلغة خوارزم فدفعت إليه أقراصاً فأخذها وقال مروا قد رحمتكم.
قال: وإذا مرض الرجل منهم وكان له جوارٍ وعبيد خدموه ولم يقربه أحد من أهل بيته ويضربون له خيمة ناحية من البيوت فلا يزال فيها إلى أنْ يموت أو يبرأ وإن كان عبداً أو فقيراً رموا به في الصحراء وارتحلوا عنه.
وإذا مات الرجل منهم حفروا له حفيرة كبيرة كهيئة البيت وعمدوا إليه فألبسوه قرطقة ومنطقته وقوسه وجعلوا في يده قدحاً من خشب فيه نبيذ وتركوا بين يديه إناء من خشب فيه نبيذ وجاءوا بكل ماله فجعلوه معه في ذلك البيت ثم أجلسوه فيه فسقفوا البيت عليه وجعلوا فوقه مثل القبة من الطين وعمدوا إلى دوابه على قدر كثرتها فقتلوا منها مئة رأس إلى مئتي رأس إلى رأس واحد وأكلوا لحومها إلا الرأس والقوائم والجلد والذنب فإنهم يصلبون ذلك على الخشب وقالوا: هذه دوابه يركبها إلى الجنة فإن كان قتل إنساناً وكان شجاعاً نحتوا صوراً من خشب على عدد من قتل وجعلوها على

قبره وقالوا: هؤلاء غلمانه يخدمونه في الجنة.
وربما تغافلوا على قتل الدواب يوماً أو يومين فيحثهم شيخ من كبارهم فيقول: رأيت فلاناً يعني الميت في النوم فقال لي: هو ذا تراني وقد سبقني أصحابي وشققت رجلاي من أتباعي لهم ولست ألحقهم وقد بقيت وحدي فعندها يعمدون إلى دوابه فيقتلوها ويصلبونها عند قبره فإذا كان بعد يوم أو يومين جاءهم ذلك الشيخ وقال: قد رأيت فلاناً وقال: عرف أهلي وأصحابي أني قد لحقت من تقدمني واسترحت من التعب.
قال: والترك كلهم ينتفون لحاهم إلا أسبلتهم وربما رأيت الشيخ الهرم منهم وقد نتف لحيته وترك شيئاً منها تحت ذقنه وعليه البوستين فإذا رآه إنسان من بعد لم يشك أنه تيس.
وملك الترك الغزية يقال له يبغو وهو اسم الأمير وكل من ملك هذه القبيلة فبهذا الاسم يسمى ويقال لخليفته كوذركين وكذا كل من يخلف رئيساً منهم يقال له: كوذركين ثم نزلنا بعد ارتحالنا من ناحية هؤلاء بصاحب جيشهم ويقال له: أترك بن القطغان فضرب لنا قباباً تركية وأنزلنا فيها وإذا له ضبنة وحاشية وبيوت كبيرة وساق إلينا غنماً وقاد دواب لنذبح الغنم ونركب الدواب ودعا هو جماعة من أهل بيته وبني عمه فقتل لهم غنماً كثيرة وكنا قد أهدينا إليه هدية من ثياب وزبيب وجوز وفلفل وجاورس فرأيت امرأته وقد كانت امرأة أبيه وقد أخذت لحماً ولبناً وشيئاً مما أتحفناه به وخرجت من البيوت إلى الصحراء فحفرت حفيرة ودفنت الذي كان معها فيها وتكلمت بكلام فقلت للترجمان: ما تقول قال: تقول هذه هدية للقطغان أبي الترك أهداها له العرب فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبته جالس ومعنا كتاب نذير الحرمي إليه يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه ووجه إليه خمسين ديناراً فيها عدة دنانير مسيبية وثلاثة مثاقيل مسك وجلود أديم وثياب مروية وقطعنا له منها قرطقين وخف أديم وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتما.
وقرأت عليه الكتاب فقال للترجمان: لست أقول لكم شيئاً حتى ترجعوا وأكتب إلى السلطان بما أنا عازم عليه ونزع الديباجة التي كانت عليه ليلبس الخلع التي ذكرنا فرأيت القرطق الذي تحتها وقد تقطع وسخاً لأن رسومهم أن لا ينزع الواحد منهم الثوب الذي يلي جسده حتى ينتثر قطعاً وإذا هو قد نتف لحيته كلها وسباله فبقي كالخادم ورأيت الترك يذكرون أنه أفرسهم.
ولقد رأيت يوماً وهو يسايرنا على فرسه إذ مرت وزة طائرة فأوتر قوسه وحرك دابته تحتها ثم رماها فإذا هو قد أنزلها.
(5/1)
فلما كان في بعض الأيام وجه خلف القواد الذين يلونه وهم: طرخان وينال وابن أخيهما وإيلغز وكان طرخان أنبلهم وأجلهم وكان أعرج أعمى أشل فقال لهم: إن هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي ولم يخير لي أن أطلقهم إلا عن مشورتكم فقال طرخان: هذا شيء ما رأيناه قط ولا سمعنا به ولا اجتاز بنا رسول سلطان مذ كنا نحن وآباؤنا وما أظن إلا أن السلطان قد أعمل الحيلة ووجه هؤلاء إلى الخزر ليستجيش بهم علينا والوجه أن يقطع هؤلاء الرسل نصفين نصفين ونأخذ ما معهم.
وقال آخر منهم: لا بل نأخذ ما معهم ونتركهم عراة يرجعون من حيث جاءوا وقال آخر: لا ولكن لنا عند ملك الخزر أسراء فنبعث بهؤلاء نفادي بهم أولئك فما زالوا يتراجعون بينهم هذه الأشياء سبعة أيام ونحن في حالة الموت حتى أجمع رأيهم على أن يخلوا سبيلنا ونمضي فخلعنا على طرخان خفتاناً مروياً وشقتين باي باف وعلى أصحابه كل واحد قرطقاً وكذلك على ينال ودفعنا إليهم فلفلاً وجاورس وأقراصاً من خبز وانصرفوا عنا.
ورحلنا حتى صرنا إلى نهر يغندي فأخرج الناس سفرهم وهي من جلود الجمال فبسطوها وأخذوا بالأثاث من الجمال التركية لأنها مدورة فجعلوها في جوفها حتى تمتد ثم حشوها بالثياب والمتاع فإذا امتلأت جلس في كل سفرة جماعة من خمسة وستة وأربعة وأقل وأكثر ويأخذون بأيديهم خشب

الخدنك فيجعلونه كالمجاديف ولا يزالون يجدفون والماء يحملها وهي تدور حتى نعبر فأما الدواب والجمال فإنه يصاح بها فتعبر سباحة ولا بد أن تعبر جماعة من المقاتلة ومعهم السلاح قبل أن يعبر شيء من القافلة ليكونوا طليعة للناس خيفة من الباشغرد أن يكبسوا الناس وهم يعبرون.
فعبرنا يغندي على هذه الصفة التي ذكرنا ثم عبرنا بعد ذلك نهراً يقال له جام في السفر أيضاً ثم عبرنا جاخش ثم أذل ثم أردن ثم وارش ثم أختي ثم وتبا وهذه كلها أنهار كبار.
ثم صرنا بعد ذلك إلى البنجاك وإذا هم نزول على ماء شبيه بالبحر غير جار وإذا هم سمر شديدو السمرة وإذا هم محلقوا اللحى فقراء خلاف الغزية لأني رأيت من الغزية من يملك عشرة آلاف دابة ومئة ألف رأس من الغنم وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحث بأظلافها تطلب الحشيش فإذا لم تجده قضمت الثلج فسمنت غاية السمن فإذا كان الصيف وأكلت الحشيش هزلت فنزلنا على البجناك يوما واحداً ثم ارتحلنا فنزلنا على نهر جيخ وهو أكبر نهر رأيناه وأعظمه وأشده جرية ولقد رأيت سفرةً انقلبت فيه فغرق من كان فيها وذهبت رجال كثير من الناس وغرقت عدة جمال ودواب ولم نعبره إلا بجهد.
ثم سرنا أياماً وعبرنا نهر جاخا ثم بعده نهر أرخز ثم باجاغ ثم سمور ثم كنال ثم نهر سوخ ثم نهر كنجلو.
ووقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد فحذرناهم أشد الحذر وذلك أنهم شر الأتراك وأقذرهم وأشدهم إقداماً على القتل يلقى الرجل الرجل فيفرز هامته ويأخذها ويتركه وهم يحلقون لحاهم ويأكلون القمل يتتبع الواحد منهم درز قرطقة فيقرض القمل بأسنانه ولقد كان معنا منهم واحد قد أسلم وكان يخدمنا فرأيته وجد قملة في ثوبه فقصعها بظفره ثم لحسها وقال لما رآني: جيد.
وكل واحد منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل ويعلقها عليه فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو قبلها وسجد لها وقال: يا رب افعل بي كذا وكذا فقلت للترجمان: سل بعضهم ما حجتهم في هذا ولم جعله ربه قال: لأني خرجت من مثله فلست أعرف لنفسي خالقاً غيره.
ومنهم من يزعم أن له أثني عشر ربا: للشتاء رب وللصيف رب وللمطر رب وللريح رب وللشجر رب وللناس رب وللدواب رب وللماء رب ولليل رب وللنهار رب وللموت رب وللأرض رب والرب الذي في السماء أكبرهم إلا أنه يجتمع مع هؤلاء باتفاق ويرضى كل واحد منهم بما يعمل شريكه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً ورأينا طائفة منهم تعبد الحيات وطائفة تعبد السمك وطائفة تعبد الكراكي فعرفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً من أعدائهم فهزموهم وأن الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهزموا بعدها هزموا فعبدوا الكراكي لذلك وقالوا: هذه ربنا وهذه فعالاته هزم أعدائنا فهم يعبدونها لذلك.
قال: وسرنا من بلد هؤلاء فعبرنا نهر جرمشان ثم نهر أورن ثم نهر أورم ثم نهر بيناخ ثم نهر وتيغ ثم نهر نياسنه ثم نهر جاوشيز وبين النهر والنهر مما ذكرنا اليومان والثلاثة والأربعة وأقل من ذلك وأكثر.

(6/1)

الصقالبة

فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته وأولاده فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاوزس وساروا معنا فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا هو بنفسه فلما رآنا نزل فخر ساجداً شكراً لله جل وعز وكان في كمه دراهم فنثرها علينا ونصب لنا قباباً فنزلناها.
وكان وصولنا إليه يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة عشر وثلاثمئة فكانت المسافة من الجرجانية إلى بلده سبعين يوماً فأقمنا يوم الأحد ويوم الأثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء في القباب التي ضربت لنا حتى جمع الملوك والقواد وأهل بلده ليسمعوا قراءة الكتاب فلما كان يوم الخميس واجتمعوا نشرنا المطردين اللذين كانا معنا وأسرجنا الدابة بالسرج الموجه إليه وألبسناه

السواد وعممناه وأخرجت كتاب الخليفة وقلت له: لا يجوز أ نجلس والكتاب يقرأ فقام على قدميه هو ومن حضر من وجوه أهل مملكته وهو رجل بدين بطين جداً وبدأت فقرأت صدر الكتاب فلما بلغت منه سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو قلت: رد على أمير المؤمنين السلام فرد وردوا جميعاً بأسرهم ولم يزل الترجمان يترجم لنا حرفاً حرفاً فلما استتممنا قراءته كبروا تكبيرة ارتجت لها الأرض.
ثم قرأت كتاب الوزير حامد بن العباس وهو قائم ثم أمرته بالجلوس فجلس عند قراءة كتاب نذير الحرمي فلما استتممته نثر أصحابه عليه الدراهم الكثيرة ثم أخرجت الهدايا من الطيب والثياب واللؤلؤ له ولامرأته فلم أزل أعرض عليه وعليها شيئاً شيئاً حتى فرغنا من ذلك ثم خلعت على امرأته بحضرة الناس وكانت جالسة إلى جنبه وهذه سنتهم وزيهم فلما خلعت عليها نثر النساء عليها الدراهم وانصرفنا.
فلما كان بعد ساعة وجه إلينا فدخلنا إليه وهو في قبته والملوك عن يمينه وأمرنا أن نجلس عن يساره وإذا أولاده جلوس بين يديه وهو وحده على سرير مغشى بالديباج الرومي فدعا بالمائدة فقدمت وعليه اللحم المشوي وحده فابتدأ هو فأخذ سكيناً وقطع لقمة وأكلها وثانية وثالثة ثم احتز قطعة دفعها إلى سوسن الرسول فلما تناولها جاءته مائدة صغيرة فجعلت بين يديه وكذلك الرسم لا يمد أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملك لقمة فساعة يتناولها قد جاءته مائدة ثم ناولني فجاءتني مائدة ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة ثم ناول الملك الرابع فجاءته مائدة ثم ناول أولاده فجاءتهم الموائد وأكلنا كل واحد من مائدته لا يشركه فيها أحد ولا يتناول من مائدة غيره شيئا فإذا فرغ من الطعام حمل كل واحد منهم ما بقي على مائدته إلى منزله فلما أكلنا دعا بشراب العسل وهم يسمونه السجو ليومه وليلته فشرب قدحاً ثم قام قائماً فقال: هذا سروري بمولاي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وقام الملوك الأربعة وأولاده لقيامه وقمنا نحن أيضاً حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرات ثم انصرفنا من عنده.
وقد كان يخطب له على منبره قبل قدومي: اللهم وأصلح الملك يلطوار ملك بلغار فقلت أنا له: إن الله هو الملك ولا يسمى على المنبر بهذا الاسم غيره جل وعز وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي لنفسه أن يقال على منابره في الشرق والغرب: اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين وكذا من كان قبله من آبائه الخلفاء وقد قال النبي صلى الله عليه وسسلم: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله " فقال لي: فكيف يجوز أن يخطب لي قلت: باسمك واسم أبيك قال: إن أبي كان كافراً ولا أحب أن أذكر اسمه على المنبر وأنا أيضا فما أحب أن يذكر اسمي إذ كان الذي سماني به كافراً ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين فقلت: جعفر قال: فيجوز أن أتسمى باسمه قلت: نعم قال: قد جعلت اسمي جعفرا واسم أبي عبد الله فتقدم إلى الخطيب بذلك ففعلت فكان يخطب له: اللهم وأصلح عبدك جعفر بن عبد الله أمير بلغار مولى أمير المؤمنين

(7/1)

ولما كان بعد قراءة الكتاب وإيصال الهدايا بثلاثة أيام بعث إلي وقد كان بلغه أمر الأربعة آلاف دينار وما كان من حيلة النصراني في تأخيرها وكان خبرها في الكتاب فلما دخلت إليه أمرني بالجلوس فجلست ورمى إلي كتاب أمير المؤمنين فقال: من جاء بهذا الكتاب قلت: أنا ثم رمى إلي كتاب الوزير فقال: وهذا أيضا قلت: أنا قال: فالمال الذي ذكر فيهما ما فعل به قلت: تعذر جمعه وضاق الوقت وخشينا فوت الدخول فتركناه ليلحق بنا فقال: إنما جئتم بأجمعكم وأنفق عليكم مولاي ما أنفق لحمل هذا المال إلي حتى أبني به حصناً يمنعني من اليهود الذين قد استعبدوني فأما الهدية فغلامي قد كان يحسن أن يجيء بها قلت: هو كذلك إلا أنا قد اجتهدنا فقال للترجمان: قل له أنا لا أعرف هؤلاء إنما أعرفك أنت وذلك أن هؤلاء قوم عجم ولو علم الأستاذ أيده الله أنهم يبلغون ما تبلغ ما بعث بك حتى تحفظ علي وتقرأ كتابي وتسمع جوابي ولست أطالب غيرك بدرهم فاخرج من

المال فهو أصلح لك فانصرفت من بين يديه مذعوراً مغموماً وكان رجلاً له منظر وهيبة بدين عريض كأنما يتكلم من خابية فخرجت من عنده وجمعت أصحابي وعرفتهم ما جرى بيني وبينه وقلت: لهم من هذا حذرت.
وكان مؤذنه يثني الإقامة إذا أذن فقلت له: إن مولاك أمير المؤمنين يفرد في داره الإقامة فقال للمؤذن: اقبل ما يقوله لك ولا تخالفه فأقام المؤذن على ذلك أياماً وهو يسألني عن المال ويناظرني فيه وأنا أويسه منه وأحتج فيه فلما يئس منه تقدم إلى المؤذن أن يثني الإقامة ففعل وأراد بذلك أن يجعله طريقا إلى مناظرتي فلما سمعت تثنيته للإقامة نهيته وصحت عليه فعرف الملك فأحضرني وأحضر أصحابي فلما اجتمعنا قال الترجمان: قل له يعنيني ما يقول في مؤذنين افرد أحدهما وثنى الآخر ثم صلى كل واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا قلت: الصلاة جائزة فقال: باختلاف أم بإجماع قلت: بإجماع قال: قل له فما يقول في رجل دفع إلى قوم مالا لا قوام ضعفى محاصرين مستعبدين فخانوه فقلت: هذا لا يجوز وهؤلاء قوم سوء قال: باختلاف أم بإجماع قلت: بإجماع فقال للترجمان: قل له: تعلم أن الخليفة أطال الله بقاءه لو بعث إلي جيشاً كان يقدر علي قلت: لا قال: فأمير خراسان قلت: لا قال: أليس لبعد المسافة وكثرة من بيننا من قبائل الكفار قلت: بلى قال: قل له فوالله إني لبمكاني البعيد الذي تراني فيه وإني لخائف من مولاي أمير المؤمنين وذلك أني أخاف أن يبلغه عني شيء يكرهه فيدعو علي فأهلك بمكاني وهو في مملكته وبيني وبينه البلدان الشاسعة وأنتم تأكلون خبزه وتلبسون ثيابه وترونه في كل وقت خنتموه في مقدار رسالة بعثكم بها إلي إلى قوم ضعفى وخنتم المسلمين لا أقبل منكم أمر ديني حتى يجيئني من ينصح لي فيما يقول فإذا جاءني إنسان بهذه الصورة قبلت منه فألجمنا وما أحرنا جواباً وانصرفنا من عنده.
قال: فكان بعد هذا القول يؤثرني ويقربني ويباعد أصحابي ويسميني أبا بكر الصديق.
ورأيت في بلده من العجائب ما لا أحصيها كثرةً من ذلك: أن أول ليلة بتناها في بلده رأيت قبل مغيب الشمس بساعة قياسية أفق السماء وقد احمرت احمراراً شديداً وسمعت في الجو أصواتاً شديدة وهمهمة عالية فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني وإذا تلك الهمهمة والأصوات منه وإذا فيه أمثال الناس والدواب وإذا في أيدي الأشباح التي فيه تشبه الناس رماح وسيوف أتبينها وأتخيلها وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها أيضاً رجالاً ودواب وسلاحاً فأقبلت هذه القطعة تحمل على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة ففزعنا من ذلك وأقبلنا على التضرع والدعاء وهم يضحكون منا ويتعجبون من فعلنا.
قال: وكنا ننظر إلى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعاً ساعة ثم تفترقان فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ثم غابتا فسألنا الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون: إن هؤلاء من مؤمني الجن وكفارهم وهم يقتتلون في كل عشية وأنهم ما عدموا هذا مذ كانوا في كل ليلة.
(8/1)
قال: ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قد وقع إلى تلك الناحية قبتي لنتحدث فتحدثنا بمقدار ما يقرأ إنسان أقل من نصف سبع ونحن ننتظر أذان العتمة فإذا بالأذان فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر فقلت للمؤذن :أي شيء أذنت قال: أذان الفجر قلت: فالعشاء الآخرة قال: نصليها مع المغرب قلت: فالليل قال: كما ترى وقد كان أقصر من هذا إلا أنه قد أخذ في الطول وذكر أنه منذ شهر ما نام خوفا أن تفوته صلاة الغداة وذلك أن الإنسان يجعل القدر على النار وقت المغرب ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج.
قال: ورأيت النهار عندهم طويلاً جداً وإذا أنه يطول عندهم مدة من السنة ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار فلما كانت الليلة الثانية جلست خارج القبة وراقبت السماء فلم أر من الكواكب إلا عدداً يسيراً ظننت أنه نحو الخمسة عشر كوكباً متفرقة وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بتةً وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم.
قال: ورأيت القمر لا يتوسط السماء بل يطلع في أرجائها ساعة ثم يطلع الفجر فيغيب القمر وحدثني

الملك أن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قوم يقال لهم ويسو الليل عندهم أقل من ساعة قال: ورأيت البلد عند طلوع الشمس يحمره كل شيء فيه من الأرض والجبال وكل شيء ينظر الإنسان إليه حين تطلع الشمس كأنها غمامة كبرى فلا تزال الحمرة كذلك حتى تتكبد السماء وعرفني أهل البلد أنه إذا كان الشتاء عاد الليل في طول النهار وعاد النهار في قصر الليل حتى إن الرجل منا ليخرج إلى موضع يقال له إتل بيننا وبينه أقل من مسيرة فرسخ وقت طلوع الفجر فلا يبلغه إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب كلها حتى تطبق السماء فما برحنا من البلد حتى امتد الليل وقصر النهار.
ورأيتهم يتبركون بعواء الكلاب جداً ويفرحون به ويقولون: سنة خصب وبركة وسلامة.
ورأيت الحيات عندهم كثيرة حتى إن الغصن من الشجرة لتلتف عليه العشرة منها والأكثر ولا يقتلونها ولا تؤذيهم حتى لقد رأيت في بعض المواضع شجرة طويلة يكون طولها أكثر من مئة ذراع وقد سقطت وإذا بدنها عظيم جداً فوقفت أنظر إليه إذ تحرك فراعني ذلك وتأملته فإذا عليه حية قريبة منه في الغلظ والطول فلما رأتني سقطت عنه وغابت بين الشجر فجئت فزعاً فحدثت الملك ومن كان في مجلسه فلم يكترثوا لذلك وقال: لا تجزع فليس تؤذيك ونزلنا مع الملك منزلاً فدخلت أنا وأصحابي تكين وسوسن وبارس ومعنا رجل من أصحاب الملك بين الشجر فرأينا عوداً صغيراً أخضر كرقة المغزل وأطول فيه عرق أخضر على رأس العرق ورقة عريضة مبسوطة على الأرض مفروش عليها مثل النابت فيها حب ولا يشك من يأكله أنه رمان أمليسي فأكلنا منه فإذا به من اللذة أمر عظيم فما زلنا نتبعه ونأكله.
ورأيت لهم تفاحاً أخضر شديد الخضرة وأشد حموضةً من خل الخمر وتأكله الجواري فيسمن عليه ولم أر في بلدهم أكثر من شجر البندق لقد رأيت منه غياضاً تكون الغيضة أربعين فرسخاً في مثلها ورأيت لهم شجراً لا أدري ما هو مفرط الطول وساقه أجرد من الورق ورؤوسه كرؤوس النخل له خوص دقاق إلا أنه مجتمع يجيئون إلى موضع يعرفونه من ساقه فيثقبونه ويجعلون تحته إناء فتجري إليه من ذلك الثقب ماء أطيب من العسل إن أكثر الإنسان منه أسكره كما يسكر الخمر.
وأكثر أكلهم الجاورس ولحم الدابة على أن الحنطة والشعير كثير وكل من زرع شيئاً أخذه لنفسه ليس للملك فيه حق غير أنهم يؤدون إليه في كل سنة من كل بيت جلد سمور وإذا أمر سرية بالغارة على بعض البلدان فغنمت كان له معهم حصة ولا بد لكل من يعترس أو يدعو دعوة من زله للملك على قدر الوليمة وساخرخ من نبيذ العسل وحنطة ردية لأن أرضهم سوداء منتنة.
وليس لهم مواضع يجمعون فيها طعامهم ولكنهم يحفرون في الأرض آباراً ويجعلون الطعام فيها فليس يمضي عليه إلا أيام يسيرة حتى يتغير ويريح فلا ينتفع به وليس لهم زيت ولا شيرج ولا دهن بتةً وإنما يقيمون مقام هذه الأدهان دهن السمك فكل شيء يستعملونه فيه يكون زفراً ويعملون من الشعير حساء يحسونه الجواري والغلمان وربما طبخوا الشعير باللحم فأكل الموالي اللحم وأطعموا الجواري الشعير إلا أن يكون رأس تيس فيطعم من اللحم.

(9/1)

وكلهم يلبسون القلانس فإذا ركب الملك ركب وحده بغير غلام ولا أحد يكون معه فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحد إلا قام وأخذ قلنسوته عن رأسه فجعلها تحت إبطه فإذا جاوزهم ردوا قلانسهم إلى رؤوسهم وكذلك كل من يدخل إلى الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوته ساعة ينظرون إليه قد أخذوا قلانسهم فجعلوها تحت آباطهم ثم أوموا إليه برؤوسهم وجلسوا ثم قاموا حتى يأمرهم بالجلوس وكل من يجلس بين يديه فإنما يجلس باركا ولا يخرج قلنسوته ولا يظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك.
وكلهم في قباب إلا أن قبة الملك كبيرة جداً تسع ألف نفس وأكثر مفروشة بالفرش الأرمني وله في وسطها سرير مغشى بالديباج الرومي.
ومن رسومهم أنه إذا ولد لابن الرجل مولود أخذه جده دون أبيه وقال: أنا أحق به من أبيه في حضنه حتى يصير رجلاً وإذا مات منهم الرجل ورثه أخوه دون ولده فعرفت الملك أن هذا غير جائز

وعرفته كيف المواريث حتى فهمها.
وما رأيت أكثر من الصواعق في بلدهم وإذا وقعت الصاعقة على بيت لم يقربوه ويتركونه على حالته وجميع من فيه من رجل ومال وغير ذلك حتى يتلفه الزمان ويقولون: هذا بيت مغضوب عليهم.
وإذا قتل الرجل منهم الرجل عمداً أقادوه به وإذا قتله خطأً صنعوا له صندوقاً من خشب الخدنك وجعلوه في جوفه وسمروه عليه وجعلوا معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح وعلقوه بينها وقالوا: نجعله بين السماء والأرض يصيبه المطر والشمس لعل الله أن يرحمه فلا يزال معلقا حتى يبليه الزمان وتهب به الرياح.
وإذا رأوا إنساناً له حركة ومعرفة بالأشياء قالوا: هذا حقه أن يخدم ربنا فأخذوه وجعلوا في عنقه حبلاً وعلقوه في شجرة حتى يتقع.
ولقد حدثني ترجمان الملك أن سندياً سقط إلى ذلك البلد فأقام عند الملك برهة من الزمان يخدمه وكان خفيفاً فهماً فأراد جماعة منهم الخروج معهم فنهاه عن ذلك فاستأذن السندي الملك في الخروج معهم فنهاه عن ذلك وألح عليه حتى أذن له فخرج معهم في سفينة فرأوه حركاً كيساً فتآمروا بينهم وقالوا هذا يصلح لخدمة ربنا فنوجه به إليه واجتازوا في طريقهم بغيضة فأخرجوه إليها و جعلوا في عنقه حبلاً وشدوه في رأس شجرة عالية وتركوه ومضوا.
وإذا كانوا يسيرون في طريق فأراد أحدهم البول فبال وعليه سلاحه انتهبوه وأخذوا سلاحه وثيابه وجميع ما معه وهذا رسم لهم ومن خط عنه سلاحه وجعله ناحية وبال لم يعرضوا له وينزل الرجال والنساء إلى النهر فيغتسلون جميعاً عراة لا يستتر بعضهم من بعض ولا يزنون بوجه ولا سبب ومن زنا منهم كائناً من كان ضربوا له أربع سكك وشدوا يديه ورجليه إليها وقطعوا بالفأس من رقبته إلى فخذيه وكذلك يفعلون بالمرأة أيضاً ثم يعلق كل قطعة منه ومنها على شجرة وما زلت اجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة فما استوى لي ذلك ويقتلون السارق كما يقتلون الزاني وفي غياضهم عسل كثير في مساكن النحل يعرفونها فيخرجون لطلب ذلك فربما وقع عليهم قوما من أعدائهم فقتلوهم وفيهم تجار كثير يخرجون إلى أرض الترك فيجلبون الغنم وإلى بلد يقال له ويسو فيجلبون السمور والثعلب الأسود.
ورأينا فيهم أهل بيت يكونون خمسة الآف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم يعرفون بالبرنجار وقد بنوا لهم مسجداً من خشب يصلون فيه ولا يعرفون القراءة فعلمت جماعة ما يصلون به.
ولقد اسلم على يدي رجل يقال له طالوت فأسميته عبد الله فقال: أريد أن تسميني باسمك محمداً ففعلت وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم محمداً وعلمته الحمد لله و قل هو الله أحد فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن صار ملك الصقالبة.
وكنا لما وافينا الملك وجدناه نازلاً على ماء يقال له خلجة وهي ثلاث بحيرات منها اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة إلا أنه ليس في جميعها شيء يلحق غوره وبين هذا الموضع وبين نهر لهم عظيم يصب إلى بلاد الخزر يقال له نهر إتل نحو الفرسخ وعلى هذا النهر موضع سوق تقوم في كل مدينة ويباع فيها المتاع الكثير النفيس.
(10/1)
وكان تكين حدثني أن في بلد الملك رجلاً عظيم الخلق جداً فلما صرت إلى البلد سألت الملك عنه فقال: نعم قد كان في بلدنا ومات ولم يكن من أهل البلد ولا من الناس أيضاً وكان من خبره أن قوماً من التجار خرجوا إلى نهر إتل وهو نهر بيننا وبينه يوم واحد كما يخرجون وهذا النهر قد مد وطغى ماؤه فلم أشعر يوماً إلا وقد وافاني جماعة من التجار فقالوا: أيها الملك قد قفا على الماء رجل إن كان من أمة تقرب منا فلا مقام لنا في هذه الديار وليس لنا غير التحويل.
فركبت معهم حتى صرت إلى النهر فإذا أنا بالرجل وإذا هو بذراعي اثنا عشر ذراعاً وإذا له رأس كأكبر ما يكون من القدور وأنف أكثر من شبر وعينان عظيمتان وأصابع تكون أكثر من شبر شبر

فراعني أمره وداخلني ما داخل القوم من الفزع وأقبلنا نكلمه ولا يكلمنا بل ينظر إلينا فحملته إلى مكاني وكتبت إلى أهل ويسو وهم منا على ثلاثة أشهر أسألهم عنه فكتبوا إلي يعرفونني أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج وهم منا على ثلاثة أشهر عراة يحول بيننا وبينهم البحر لأنهم على شطه وهم مثل البهائم ينكح بعضهم بعضاً يخرج الله عز وجل لهم كل يوم سمكة من البحر فيجيء الواحد منهم ومعه المدية فيجز منها قدر ما يكفيه ويكفي عياله فإن أخذ فوق ما يقنعه اشتكى بطنه وكذلك عياله يشتكون بطونهم وربما مات وماتوا بأسرهم فإذا أخذوا منها حاجتهم انقلبت ووقعت في البحر فهم في كل يوم على ذلك.

وبيننا وبينهم البحر من جانب والجبال محيطة بهم من جوانب أخر والسد أيضاً قد حال بينهم وبين الباب الذي كانوا يخرجون منه فإذا أراد الله عز وجل أن يخرجهم إلى العمارات سبب لهم فتح السد ونضب البحر وانقطع عنهم السمك.

قال: فسألته عن الرجل فقال: أقام عندي مدة فلم يكن ينظر إليه صبي إلا مات ولا حامل إلا طرحت حملها وكان إن تمكن من إنسان عصره بيديه حتى يقتله فلما رأيت ذلك علقته في شجرة عالية حتى مات إن أردت أن تنظر إلى عظامه ورأسه مضيت معك حتى تنظر إليها فقلت: أنا والله أحب ذلك فركب معي إلى غيضة كبيرة فيها شجرُ عظام فتقدمني إلى شجرة سقطت عظامه ورأسه تحتها فرأيت رأسه مثل القفير الكبير وإذا أضلاعه أكبر من عراجين النخل وكذلك عظام ساقيه وذراعيه فتعجبت منه وأنصرفت.

قال: وارتحل الملك من الماء الذي يسمى خلجة إلى نهر يقال له جاوشيز فأقام به شهرين ثم أراد الرحيل فبعث إلى قوم يقال لهم سواز يأمرهم بالرحيل معه فأبوا عليه وافترقوا فرقتين فرقة مع ختنه وكان قد تملك عليهم واسمه ويرغ فبعث إليهم الملك وقال: إن الله عز وجل قد من علي بالإسلام وبدولة أمير المؤمنين فأنا عبده وهذه الأمة قد قلدتني فمن خالفني لقيته بالسيف وكانت الفرقة الأخرى مع ملك من قبيلة يعرف بملك اسكل وكان في طاعته إلا أنه لم يكن داخلاً في الإسلام فلما وجه إليهم هذه الرسالة خافوا ناحيته فرحلوا بأجمعهم معه إلى نهر جاوشيز وهو نهر قليل العرض يكون عرضه خمسة أذرع وماؤه إلى السرة وفيه مواضع إلى الترقوة وأكثره قامة وحوله شجر كثير من الشجر الخدنك وغيره وبالقرب منه صحراء واسعة يذكرون أن بها حيواناً دون الجمل في الكبر وفوق الثور رأسه رأس جمل وذنبه ذنب ثور وبدنه بدن بغل وحوافره مثل أظلاف الثور له في وسط رأسه قرن واحد غليظ مستدير كلما أرتفع دق حتى يصير مثل سنان الرمح فمنه ما يكون طوله خمسة أذرع إلى ثلاثة أذرع إلى أكثر وأقل يرتعي ورق الشجر جيد الخضرة إذا رأى الفارس قصده فإن كان تحته جواد أمن منه بجهد وإن لحقه أخذه من ظهر دابته بقرنه ثم زج به في الهواء واستقبله بقرنه فلا يزال كذلك حتى يقتله.

ولا يعرض للدابة بوجه ولا سبب وهم يطلبونه في الصحراء والغياض حتى يقتلوه وذلك أنهم يصعدون الشجر العالية التي يكون بينها ويجتمع لذلك عدة من الرماة بالسهام المسمومة فإذا توسطهم رموه حتى يثخنوه ويقتلوه.

ولقد رأيت عند الملك ثلاث طيفوريات كبار تشبه الجزع اليماني عرفني أنها معمولة من أصل قرن هذا الحيوان وذكر بعض أهل البلد أنه الكركدن.

(11/1)

قال: وما رأيت منهم إنساناً يحمر بل أكثرهم معلول وربما يموت أكثرهم بالقولنج حتى إنه ليكون بالطفل الرضيع منهم وإذا مات المسلم عندهم أو زوج المرأة الخوارزميه غسلوه غسل المسلمين ثم حملوه على عجلة تجره وبين يديه مطرد حتى يصيروا به إلى المكان الذي يدفنونه فيه فإذا صار إليه أخذوه عن العجلة وجعلوه على الأرض ثم خطوا حوله خطاً ونحوه ثم حفروا داخل ذلك الخط قبره وجعلوا له لحداً ودفنوه وكذلك يفعلون بموتاهم.

ولا تبكي النساء على الميت بل الرجال منهم يبكون عليه يجيئون في اليوم الذي مات فيقفون على

باب قبته فيضجون بأقبح بكاء يكون وأوحشه.
هؤلاء للأحرار فإذا انقضى بكاؤهم وافى العبيد ومعهم جلود مضفورة فلا يزالون يبكون ويضربون جنوبهم وما ظهر من أبدانهم بتلك السيور حتى تصير في أجسادهم مثل ضرب السوط ولا بد من أن ينصبوا بباب قبته مطرداً ويحضروا سلاحه فيجعلونها حول قبره ولا يقطعون البكاء سنتين.
فإذا انقضت السنتان حطوا المطرد وأخذوا من شعورهم ودعا أقرباء الميت دعوة يعرف بها خروجهم من الحزن وإن كانت له زوجة تزوجت هذا إذا كان من الرؤساء فأما العامة فيفعلون بعض هذا بموتاهم.
وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤديها إلى ملك الخزر من كل بيت في مملكته جلد سمور وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها وأخذ من جميع العشر وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك أن يختار من كل عشرة أرؤس رأساً.
وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها فاحتج عليه ورده فبعث وأخذها غصباً وهو يهودي وهي مسلمة فماتت عنده فوجه يطلب بنتاً له أخرى فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك اسكل وهو من تحت يده خيفة أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها وإنما دعا ملك الصقالبة أن يكاتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر.
قال: وسألته يوما فقلت له: مملكتك واسعة وأموالك جمة وخراجك كثير فلم سألت السلطان أن يبني حصناً بمال من عنده لا مقدار له فقال رأيت دولة الإسلام مقبلة وأموالهم يؤخذ من حلها فالتمست ذلك لهذه العلة ولو أني أردت أن أبني حصناً من أموالي من فضة أو ذهب لما تعذر ذلك علي وإنما تبركت بمال أمير المؤمنين فسألته ذلك.
الروسية
قال: ورأيت الروسية وقد وافوا في تجارتهم ونزلوا على نهر إتل فلم أر أتم أبداناً منهم كأنهم النخل شقرُ حمر لا يلبسون القراطق ولا الخفاتين ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ويخرج إحدى يديه منه ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا.
وسيوفهم صفائح مشطبة أفرنجية ومن حد ظفر الواحد منهم إلى عنقه مخضر شجر وصور وغير ذلك.
وكل امرأة منهم فعلى ثديها حقة مشدودة إما من حديد وإما من فضة وإما من نحاس وإما من ذهب على قدر مال زوجها ومقداره وفي كل حقة حلقة فيها سكين مشدودة على الثدي أيضاً وفي أعناقهن أطواق من ذهب وفضة لأن الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم صاغ لامرأته طوقاً وإن ملك عشرين ألفاً صاغ لها طوقين وكذلك كل عشرة آلاف يزداد طوقاً لامرأته فربما كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة.
وأجل الحلي عندهم الخزر الأخضر من الخزف الذي يكون على السفن يبالغون فيه ويشترون الخرزة بدرهم وينظمونه عقودا لنسائهم.
وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا يغسلون أيديهم من الطعام بل هم كالحمير الضالة يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم بإتل وهو نهر كبير ويبنون على شطه بيوتاً كباراً من الخشب.
ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر ولكل واحد سرير يجلس عليه ومعهم الجواري الروقة للتجار فينكح الواحد جاريته ورفيقه ينظر إليه وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض وربما يدخل التاجر عليهم ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه.
(12/1)

ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأطفسه وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة ثم يمتخط ويبصق فيها ولا يدع شيئاً من القذر إلا فعله في ذلك الماء فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت وكل واحد منهم يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها.
وساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان وحولها صور صغار وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها ثم يقول لها: يا رب قد جئت من بلد بعيد ومعي من الجواري كذا وكذا رأساً ومن السمور كذا وكذا جلداً حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته ثم يقول: وجئتك بهذه الهدية ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة ويقول: أريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كل ما أريد ولا يخالفني فيما أقول ثم ينصرف.
فإن تعسر عليه بيعه وطالت أيامه عاد بهدية ثانية وثالثة فإن تعذر ما يريد حمل إلى كل صورة من تلك الصور الصغار هدية وسألها الشفاعة وقال: هؤلاء نساء ربنا وبناته وبنوه فلا يزال يطلب إلى صورة صورة يسألها ويستشفع بها ويتضرع بين يديها فربما تسهل له البيع فباع فيقول: قد قضى ربي حاجتي وأحتاج أن أكافيه فيعمد ما أريد ولا يخالفني فيما أقول ثم ينصرف إلى عدة من الغنم أو البقر فيقتلها ويتصدق ببعض اللحم ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي حولها ويعلق رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك فيقول: الذي فعله قد رضي ربي عني وأكل هديتي.
وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ولا يقربونه ولا يكلمونه بل لا يتعاهدونه في كل أيام مرضه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً فإن برئ وقام رجع إليهم وإن مات أحرقوه فإن كان مملوكاً تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير.
وإذا أصابوا سارقاً أو لصاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه حبلاً وثيقاً وعلقوه فيها ويبقى معلقاً حتى يتقطع من المكث بالرياح والأمطار.
وكان يقال لي إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلها الحرق فكنت أحب أن أقف على ذلك حتى بلغني موت رجل منهم جليل فجعلوه في قبره وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها.
وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ويجعلونه فيها ويحرقونها والغني يجمعون ماله ويجعلونه ثلاثة أثلاث: فثلث لأهله وثلث يقطعون له به ثياباً وثلث ينبذون به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها وتحرق مع مولاها.
وهم مستهترون بالنبيذ يشربونه ليلاً ونهاراً وربما مات الواحد منهم والقدح في يده وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه: من منكم يموت معه فيقول بعضهم: أنا فإذا قال ذلك فقد وجب عليه لا يستوي له أن يرجع أبدا ولو أراد ذلك ما ترك وأكثر من يفعل هذا الجواري.
فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه: من يموت معه فقالت إحداهن: أنا فوكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث سلكت حتى إنها ربما غسلتا رجليها بأيديهما وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له وإصلاح ما يحتاج إليه والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة.
فلما كان اليوم الذي يحرق فيه هو والجارية حضرت إلى النهر الذي فيه سفينته فإذا هي قد أخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك وغيره وجعل أيضاً حولها مثل الأنابير الكبار من الخشب ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب وأقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلمون بكلام لا أفهم وهو بعد في

قبره لم يخرجوه ثم جاءوا بسرير فجعلوه على السفينة وغشوه بالمضربات الديباج الرومي والمساند الديباج الرومي ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت ففرشت على السرير الفرش التي ذكرنا وهي وليت خياطته وإصلاحه وهي تقتل الجواري ورأيتها جوان بيرة ضخمة مكفهرة.

(13/1)

فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب ونحوا الخشب واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه فرأيته قد اسود لبرد البلد وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذاً وفاكهة وطنبوراً فأخرجوا جميع ذلك فإذا هو لم ينتن ولم يتغير منه شيء غير لونه.

فألبسوه سراويل ورانا وخفاً وقرطقاً وخفتان ديباج له أزرار ذهب وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمورية وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة وأجلسوه على المضربة وأسندوه بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه.

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه وجاءوا بكلب فقطعوه نصفين وألقوه في السفينة ثم جاءوا بجميع سلاحه فجعلوه إلى جانبه ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا ثم قطعوهما بالسيف وألقوا لحمهما في السفينة.

ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما أيضا وألقوهما فيها ثم أحضروا ديكاً ودجاجة فقتلوهما وطرحوهما فيها.

والجارية التي تريد أن تقتل ذاهبة وجائية تدخل قبةً قبةً من قبابهم فيجامعها صاحب القبة ويقول لها: قولي لمولاك إنما فعلت هذا من محبتك.

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاءوا بالجارية إلى شيء قد عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجليها على أكف الرجال وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلام لها فأنزلوها ثم أصعدوها ثانية ففعلت كفعلها في المرة الأولى ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا إليها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة.

فسألت الترجمان عن فعلها فقال: قالت في أول مرة أصعدوها: هو ذا أرى أبي وأمي وقالت في الثانية: هو ذا أرى جميع قرابتي الموتى قعوداً وقالت في المرة الثالثة: هو ذا أرى مولاي قاعداً في الجنة والجنة حسنة خضراء ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي إليه.

فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا عليها ودفعتهما إلى المرأة التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المرأة المعروفة بملك الموت.

ثم أصعدوها إلى السفينة ولم يدخلوها إلى القبة وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ودفعوا إليها قدحاً نبيذاً فغنت عليه وشربته فقال لي الترجمان: إنها تودع صواحباتها بذلك ثم دفع إليها قدح آخر فأخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها فرأيتها وقد تبلدت وأرادت دخول القبة فأدخلت رأسها بينها وبين السفينة فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة ودخلت معها.

وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري ولا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل إلى القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ثم أضجعوها إلى جانب مولاها وأمسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً مخالفاً ودفعته إلى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها خنجر عريض النصل فأقبلت تدخله بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت.

ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة وأشعلها بالنار ثم مشى القهقرى نحو قفاه إلى السفينة ووجهه إلى الناس والخشبة المشعلة في يده الواحدة ويده الأخرى على باب استه وهو عريان حتى أحرق الخشب المعبأ الذي تحت السفينة من بعدما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها.

ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع كل واحد خشبة قد ألهب رأسها فيلقيها في ذلك الخشب فتأخذ النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معي فسألته عما قال له فقال: إنه يقول: أنتم يا معاشر العرب حمقى.
فقلت: لم ذلك قال: إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب وتأكله التراب والهوام والدود ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته.
ثم ضحك ضحكاً مفرطاً فسألت عن ذلك فقال: من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعة فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رماداً مدداً
(14/1)
ثم بنوا على موضع السفينة وكانوا قد أخرجوها من النهر شبيها بالتل المدور ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا.
قال: ومن رسم ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمئة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده فهم يموتون بموته ويقتلون دونه ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه وتصنع له ما يأكل ويشرب وجارية أخرى يطؤها وهؤلاء الأربعمئة يجلسون تحت سريره وسريره عظيم مرصع بنفيس الجوهر ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه وربما وطئ الواحدة منهن بحضرة أصحابه الذين ذكرنا.
ولا ينزل عن سريره فإذا أراد قضاء حاجة قضاها في طشت وإذا أراد الركوب قدموا دابته إلى السرير فركبها منه وإذا أراد النزول قدم دابته حتى يكون نزوله عليه وله خليفة يسوس الجيوش ويواقع الأعداء ويخلفه في رعيته.
الخزر
فأما ملك الخزر واسمه خاقان فإنه لا يظهر إلا في كل أربعة أشهر متنزهاً ويقال له خاقان الكبير ويقال لخليفته خاقان به وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ويدبر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو وله تذعن الملوك الذين يصاقبونه ويدخل في كل يوم إلى خاقان الأكبر متواضعاً يظهر الأخبات والسكينة ولا يدخل عليه إلا حافياً وبيده حطب فإذا سلم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب فإذا فرغ من الوقود جلس مع الملك على سريره عم يمينه ويخلفه رجل يقال له كندر خاقان ويخلف هذا أيضاً رجل يقال له جاوشيغر.
ورسم الملك الأكبر أن لا يجلس للناس ولا يكلمهم ولا يدخل عليه أحد غير من ذكرنا.
الولايات في الحل والعقد والعقوبات وتدبير المملكة على خليفته خاقان به.
ورسم الملك الأكبر إذا مات أن يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتاً ويحفر له في كل بيت منها قبر وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل وتفرش فيه وتطرح النورة فوق ذلك وتحت الدار نهر والنهر نهر كبير يجري ويجعلون القبر فوق ذلك النهر ويقولون: حتى لا يصل إليه شيطان ولا إنسان ولا دود ولا هوام.
وإذا دفن ضربت أعناق الذين يدفنونه حتى لا يدرى أين قبره من تلك البيوت ويسمى قبره الجنة ويقولون: قد دخل الجنة وتفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب.
ورسم ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه يأخذها طوعاً أو كرهاً وله من الجواري السراري لفراشه ستون ما منهن إلا فائقة الجمال وكل واحدة من الحرائر والسراري في قصر مفرد لها قبة مغشاة بالساج وحول كل قبة مضرب ولكل واحدة منهم خادم يحجبها فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى يجعلها في فراشه. ويقف الخادم على باب قبة الملك فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة.
وإذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه ويكون بينه وبين المواكب ميل فلا يراه أحد

من رعيته إلا خر لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه.
ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوماً واحداً قتلته الرعية وخاصته وقالوا: هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه.
وإذا بعث سرية لم تول الدبر بوجهٍ ولا سبب فإن انهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها فأما القواد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهم وربما علقهم بأعناقهم في الشجر وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسة.
ولملك الخزر مدينة عظيمة على النهر إتل وهي جانبان في أحد الجانبين المسلمون وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك يقال له خز وهو مسلم وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة إلى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره. *(15/1)*

المصادر والمراجع

مصادر :

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح (ت850هـ/1446م):

1. المستطرف في كل من مستظرف، (مصر – 1952).

ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ/1232م):

2. أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب (القاهرة – 1970).
3. الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت - 1965).

الادريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ / 1164م):

4. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (روما – د. ت).

الازهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت370 هـ / 980 م):

5. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة – د. ت).

الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ/957م):

6. المسالك والممالك، تحقيق: محمد عبد العال، (القاهرة – 1961).
7. كتاب الأقاليم، مكتبة المثنى (بغداد – د. ت).

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت668هـ/1269م):

8. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، (بيروت - 1965).

الآلوسي، أبو الفضل محمود (ت669هـ/1270م):

9. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار احياء التراث العربي (بيروت – د.ت).

البغدادي، صفي الدين بن عبد الحق (ت739هـ/1338م):

1. مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت-1954).
2. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م):
3. فتوح البلدان، (القاهرة-1907).
4. البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت791هـ/1388م):
5. تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر (بيروت – 1996).
6. البيروني، محمد بن أحمد (ت430هـ/1038):
7. الجماهير في معرفة الجواهر، عالم الكتاب (بيروت-د.ت).
8. البيهقي، ظهر الدين (ت565هـ/1266م):
9. تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق: محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي (دمشق-1946).
10. تاج الدين، ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب بن عبد الكافي (ت771هـ/1369م):

11. طبقات الشافعية الكبرى، (القاهرة – 1906) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت297هـ/909م).
12. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت 297 هـ / 909 م):
13. سنن الترمذي، تحقيق،: أحمد محمد شاكر، احياء التراث العربي، (بيروت-د. ت).
14. التيفاشي، أحمد بن يوسف (ت651هـ/1218م):
15. أزهار الأفكار في جواهر الأحجار/ تحقيق: محمد يوسف حسن ومحمود بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة – 1977).
16. الجاحظ أبو عمرو بن بحر (ت255هـ/868م).
17. البيان والتبيين، (د. م – د. ت).
18. التبصر بالتجارة، نشر: حسن حسني، ط2، (مصر – 1935).
19. ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت377هـ/987م).
20. طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة-1955).
21. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م).
22. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (حيدرآباد- 1940).
23. الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت393هـ/1002م).
24. تاج اللغة وصحاح العرب، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط2، (بيروت-1979).
25. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت354هـ/965م):
26. صحيح ابن حسان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط2، (بيروت-1993).
27. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (ت852هـ/1448م):
28. الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي بن الحسين (ت346هـ/957م).
29. ابو الحسين، احمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ/1004م)
30. مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، (القاهرة-1971).
31. الحنفي، محمد ن أحمد بن أياس (ت 930 هـ / 1253 م):
32. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، (القاهرة-1975).
33. ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م):
34. صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت-1979)
35. الحميري، ابو عبد الله محمد عبد المنعم (ت581هـ/1185م):
36. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، (بيروت-1975).
37. ابن خرداذبه، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت300هـ/912م).
38. المسالك والممالك، مكتبة المثنى (بغداد – د. ت).
39. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1070م):
40. تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية (بيروت-د.ت).
41. الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عنتر، دار الكتب العلمية (بيروت-د. ت).

42. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن (ت808هـ/1405م):
43. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر، (بولاق-1867).

44. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ/1282م):
45. وفيات الأعيان وأبناء هذا الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة (بيروت-1968).
46. ابو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275 هـ / 888 م):
47. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت-د.ت).
48. ابو دلف، مسعر بن المهلهل (عاش في القرن الرابع الهجري):
49. الرسالة الثانية، نشر وتحقيق: بطرس بولغاكوف وانس خالدوف، ترجمة:محمد منير مرسي، عالم الكتاب (مصر-1970).
50. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله (ت748هـ/1347م):
51. سيرة أعلام النبلاء، تحقق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط9، (بيروت-1993).
52. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام الترمذي، (بيروت-1987).
53. الرامهرمزي، بزرك بن شهريار:
54. عجائب الهند بره وبحره وجزيره، (ليدن-1886).
55. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت666هـ/1267م):
56. مختار الصحاح، دار الرسالة (الكويت-1983).
57. ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (ت795هـ/1392م):
58. الاستخراج لأحكام الخراج/ (بيروت-1979).
59. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت290هـ/903م):
60. الأعلاق النفسية، (ليدن-1891).

61. الزاوي، الطاهر أحمد (ت370هـ/980م):
62. ترتيب القاموس المحيط على طريق المصباح المنير واساس البلاغة، ط2، عيسى البابي الحلبي (القاهرة-د.ت).
63. الزرقاني، محمد عبد العظيم:
64. مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، (بيروت-1996م).
65. الزمخشري، جار الله محمود عمر (ت538هـ/1143م):
66. الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، (لبنان-د.ت).
67. أساس البلاغة، (القاهرة-1922).
68. الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر.
69. كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، (دمشق-1968).
70. ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت458هـ/1065م).
71. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، (مصر-د.ت).
72. السيرافي، أبو زيد حسن وسليمان التاجر:

73. أخبار الصين والهند، تحقيق: يوسف الشاروني، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة-1999).
74. السيوطي عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين وآخرون (ت911هـ/1505م):
75. تفسير الجلالين، دار الحديث (القاهرة-د.ت).
76. تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (مصر-1952).
77. الشهرزوري، ابو عمر عثمان بن الصلاح (ت 143هـ / 1245م):
78. علوم الحديث ، تحقيق: نور الدين عتر، المكتبة العلمية (بيروت – د. ت).
79. شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي (ت727 هـ – 1326م):
80. 52. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى (بغداد – د . ت)
81. الصابوني، محمد بن علي:
82. 53. صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم (بيروت – 1981) .
83. ابن صاعد الاندلسي ، ابو القاسم صاعد بن احمد (ت 462 هـ – 1069 م) :
84. 54. طبقات الامم ، (مصر – د . ت)
85. الصولي ، ابو بكر محمد (ت 335 هـ – 946 م) :
86. 55. اخبار الراضي ، (بيروت – د . ت) .
87. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت 211 هـ – 826 م) :
88. 56. تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشيد (الرياض–1990).
89. ابن الطقطقي، محمد بن علي المعروف ابن طباطبا (ت 709 هـ / 1309م):
90. 57. الفخري في الاداب السلطانية ، (بيروت – 1960م)
91. الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (310 هـ – 922 م) :
92. 58. جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر (بيروت – 1985م)
93. 59. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (القاهرة–1979).
94. ابن عبد البر، ابو عمرو يوسف بن عبدالله الضمري (ت 463 هـ –1070م):
95. 60. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : البجاوي ، (القاهرة – د . ت)
96. ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت 685 هـ / 1286 م) :
97. 61. تاريخ مختصر الدول ، ط2 ، (بيروت – 1958)
98. ابو عبيدة، القاسم بن سلام (ت 224 هـ / 838 م):
99. 62. الأموال، (بيروت – 1986).
100. ابو عبيد البكري، عبدالله بن عبد العزيز (ت 487 هـ / 1094 م):
101. 63. جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الارشاد (بيروت – 1968).
102. الغزالي، ابو حامد محمد (ت 505 هـ / 1117 م):
103. 64. احياء علوم الدين ، (بيروت – د . ت) .
104. الغزي ، محمد بن محمد (ت 1061 هـ / 1650 م) :

105. 65. اتقان ما يحسن من الاخبار الدائرة على الالسن، تحقيق: خليل محمد العربي، (القاهرة–1995).
106. ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732 هـ / 1331 م):
107. 66. تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية (باريس – 1840)
108. ابن الفراء، ابو علي الحسين بن محمد (ت 310 هـ / 922 م):
109. 67. رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة–1947).
110. ابن فضلان، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (عاش في القرن الرابع الهجري):
111. 68. رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، سلسلة المختار من التراث العربي3، ط2، (دمشق–1977).
112. الفيروزآبادي، محمد محي الدين بن محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م):
113. 69. القاموس المحيط، (بيروت-1978).
114. القاضي أبو عبد الله محمد بن سلام:
115. 70. مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت-1986).
116. قدامة بن جعفر، ابو الفرج الكاتب البغدادي (ت320هـ/932م):
117. 71. نبذة من كتاب الخراج وصنعه الكتابة، (بغداد-د. ت).
118. القرشي، يحيى بن آدم (ت203هـ/818م):
119. 72. كتاب الخراج، تصحيح ومراجعة: أبو الأشبال أحمد بن محمد بن شاكر، (بيروت-1979).
120. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م):
121. 73. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت-1960).
122. 74. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد، ط3، (بيروت-1973).
123. القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت646هـ / 1248م):
124. 75. تاريخ الحكماء، مكتبة المثنى (بغداد – د. ت).
125. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م):
126. 76. مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الكويت-1964).
127. 77. صبح الأعشى في صناعة الانشا، (القاهرة-د.ت).
128. القنوجي، صديق حسن:
129. 78. ابجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم تحقيق: عبد الجبار زكار، (بيروت-1978).
130. ابن الكازروني، ظهر الدين علي بن محمد البغدادي:
131. 79. مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، (بغداد-1970).
132. الكتبي، محمد بن شاكر:
133. 80. فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، (د.م-د.ت).

134. ابن كثير، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمران (ت774هـ/1372م):
135. 81. البداية والنهاية، ط2، (بيروت-1977).

136. الكاشغردي، محمد محمود بن الحسين بن محمد:
137. 82. ديوان لغات الترك، (استنبول-1933).
138. ابن ماجة، أبو عبد الله يزيد القزويني (ت275هـ/888م):
139. 83. سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (بيروت-د. ت).
140. ماري بن سليمان:
141. 84. اخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل، تعليق: يحيى بن الاخما بن ابي منصور المتطبب، (روما-1899).
142. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م):
143. 85. الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مراجعة: محمد فهمي السرجاني، دار التوفيقية للطباعة (د.م-1978).
144. محمد عبده :
145. 86. نهج البلاغة، شرح: محمد عبده ، (بغداد – د . ت) .
146. المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م):
147. 87. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين حميد، مطبعة السعادة (مصر-1958).
148. 88. اخبار الزمان (منسوب للمسعودي)، ط3، (بيروت-1978).
149. مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب: (ت421هـ/1030م):
150. 89. تجارب الامم وتعاقب الهمم، (بيروت-د.ت).
151. المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت390هـ/999م):
152. 90. احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المثنى (بغداد-د.ت).
153. المقدسي، المظهر بن طاهر (بعد 355 هـ / 965 م):
154. 95. البدء والتاريخ، (باريس-1903).
155. ابن نباتة، ابن زيدون جمال الدين المصري (ت768هـ/1366م):
156. 91. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، (القاهرة-1964).
157. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن اسحق الوراق (ت385هـ/995م):
158. 92. الفهرست، (بيروت-د. ت).
159. النرشخي، محمد (عاش في اواسط القرن الرابع الهجري):
160. 93. اخبار بخارى، (باريس-1892).
161. الهروي، أبو الحسن علي (ت611هـ/1214م):
162. 94. الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين طومين، (دمشق-1953).
163. الهمذاني، ابو بكر احمد بن محمد بن اسحق بن الفقيه (ت340هـ/951م):
164. 95. مختصر كتاب البلدان، (ليدن-1885).
165. ابن الوردي، سراج الدين ابي حفص عمر (ت861هـ/1456م):
166. 96. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، (القاهرة-1898م).

167. ياقوت الحموي،شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، (ت626هـ/1228م):
168. 97. المشترك وضعا والمفترق صقعا، مكتبة المثنى (بغداد – د.ت).
169. 98. معجم البلدان، (ليدن-1885).
170. اليعقوبي، ابي يعقوب اسحق بن واضح (ت292هـ/904م):
171. 99. البلدان، ليدن (بريل-1891).
172. 100. تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت-د. ت).
173. 101. مشاكلة الناس لزمانهم، (بيروت-1962).
174. ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت182هـ/798م):
175. 102. كتاب الخراج وتصحيح ومراجعة: ابو الأشبال أحمد بن محمد بن شاكر، (بيروت-1979).

مراجع:

ابراهيم، فاضل خليل:
1- خالد بن يزيد منشورات وزارة الثقافة والاعلام 362، (العراق–1984).
لسترانج:
2- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة وتعليق: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد–1954).
الفرا، محمد علي:
3- الفكر الجغرافي وتطوره في العصور القديمة والوسطى، (الكويت–1987).
ابو سعد، أحمد:
4- أدب الرحلات وتطوره في الادب العربي، (بيروت–1961).
أرنولد، توماس:
5- الدعوة الى الاسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابد واسماعيل النحراوي، ط2، (القاهرة–1970).
بروكلمان، كارل:
6- تاريخ الادب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف (مصر–1975).
بارتولد:
7- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد سعيد سليمان، مراجعه: ابراهيم صبري، مكتبة لانجلو المصرية (القاهرة–1958).
البستاني، بطرس:
8- قطر المحيط، (مكتبة لبنان – د . ت)
9- محيط المحيط ، (بيروت – 1970)
البكر، عبد الجبار:
10. نخلة التمر ماضيها وحاضرها والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارتها، (بغداد–1972).
بوزرث، شاخت:

11- تراث الاسلام، ترجمة: حسين مؤنس واحسان صدقي، مراجعه: فؤاد زكريا، (الكويت–1988).
التابعي، محمد:
12- السفارات في الاسلام ، (دمشق – 1975)
الجميلي، رشيد:
13- حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرن الثالث الهجري، (بغداد–1986).
الجومر، عبد الجبار:
14- هارون الرشيد، (بيروت–1956)
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ/1656م):
15.كشف الظنون عن اسام الكتب والفنون، (بغداد-1941).
حسن، صبري محمد :
16- الجغرافيون العرب ، مطبعة القضاء (النجف – 1959) .
حمادة ، محمد ماهر :
17- المكتبات في الاسلام ، ط2 ، (بيروت – 1978) .
حميدة ، عبد الرحمن :
18- اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من اثارهم ، (دمشق – 1983) .
خصباك ، شاكر :
19- الفكر الجغرافي تطوره وطرق بحثه ، (جامعة بغداد – د . ت) .
20- دراسة في التراث الجغرافي العربي ، (بغداد – 1975) .
خفاجي ، محمد عبد المنعم :
21- الاسلام والحضارة الانسانية ، دار الكتب اللبناني (بيروت – 1973) .
22- ابو دلف عبقري من ينبع ، (الرياض – 1971) .
23- دائرة المعارف، افرام البستاني ، (بيروت – 1960) .
24- دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت، دار الفكر (بيروت–1933).

دوزي ، رينهارت :
25- المفصل باسماء الملابس عند العرب، ترجمة: اكرم فاضل، دار الحرية للطباعة (بغداد–1971).
الديوه جي ، سعيد :
26- بيت الحكمة، ط2، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (بغداد – 1972).
الزركلي، زكريا بن محمد (ت682هـ/1283م):
27.الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب. والمستعربين والمستشرقين، ط3، (بيروت-1970).
زيدان ، جرجي :
28- تاريخ ادب اللغة العربية ، ط2 ، دار مكتبة الحياة (بيروت – 1978) .
29- تاريخ التمدن الاسلامي ، ط2 ، (بيروت – 1967) .
زيغريد ، هونكه :
30- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، ط3، (بيروت–1979).
السامرائي ، خليل ابراهيم وآخرون :

31- تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل– 1988).
سوسه ، احمد :
32- الشريف الادريسي في الجغرافية العربية ، (بغداد – 1974) .
الشامي ، صلاح الدين :
33- الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الدراسة الميدانية ، منشأة المعارف بالاسكندرية (القاهرة – 1982) .
34- الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ، (القاهرة – 1980) .
صفوة ، نجدت فتحي :
35- العرب في الاتحاد السوفيتي، منشورات مكتبة آفاق عربية، (بغداد–1984).
ضيف، شوقي:
36- الرحلات، ط4، فنون الادب العربي الفن القصصي4، (القاهرة–د . ت).
طاش كبري زاده، احمد بن مصطفى (ت 968 هـ – 1560 م):
37. مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د . ت).
عثمان، شوقي عبد القوي:
38- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، سلسلة عالم المعرفة 151 (الكويت– 1990).
العدوي، ابراهيم احمد:
39- الامويون والبيزنطيون البحر المتوسط بحيرة اسلامية، ط2، (القاهرة–1963).
علي ، جواد :
40- تاريخ العرب قبل الاسلام ، (بغداد – 1953) .
علي ، محمد كرد :
41- الاسلام والحضارة العربية ، ط3 ، (القاهرة – 1968) .
فهيم ، حسين محمد :
42 – أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة 138 ، (الكويت – 1989) .
فوزي ، حسين :
43- حديث السندباد القديم ، (بيروت – 1977) .
فوزي ، فاروق عمر :
44- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية (247–334هـ/861–946م)، ط2، مطبعة المثنى (بغداد–1977).
الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير بن القطب (1333 هـ / 1914 م):
45. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، دار الكتاب العربي (بيروت-د.ت).
كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليا نوفتشي :
46- تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعه : ايغور سلبيايف ، (موسكو – 1957) .

الكسندر سيبل :
47- اخبار امم المجوس من الارمان ورنك الروس نصوص عربية مجموعة ، مكتبة المثنى (بغداد – د. ت) .
مال الله ، علي محسن عيسى :
48- ادب الرحلات عند العرب في المشرق، مطبعة الارشاد (بغداد–1978).
متز، آدم :
49- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريده (تونس – 1986) .
50- ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ط2 ، (القاهرة – 1970) .
51- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار احياء التراث، (بيروت– د . ت)
المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت1031هـ/1621م):
52. التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر (بيروت-1990).
53- المنجد في الاعلام، مجموعة من كتاب العالم العربي، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت – 1978) .
54- المنجد في اللغة ، مجموعة من كتاب العالم العربي ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت – 1978) .
مؤنس ، حسين :
55- الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد–1967).
ناجي ، معروف :
56- اصالة الحضارة العربية ، ط3 ، (بيروت – 1975) .
نفيس ، احمد :
57- الفكر الجغرافي في التراث الاسلامي، ترجمة: فتحي عثمان، ط2، (الكويت–1978).

سيرة الباحث :

جمال الدين فالح الكيلاني.

بقلم
أ.د.إبراهيم خليل العلاف
أستاذ التاريخ الحديث –جامعة الموصل.

صديق عزيز ، أتابع منذ فترة طويلة ، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي .... هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الاشهب الشيخ عبدالقادر الجيلي بن ابي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود امير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلي)

من مواليد 1972، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ ،و قراءة الكتب المتنوعة ،تأثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني –الأديب والشاعر،وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر،وبحكم نشأته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الالوسي ،تعرف بالعلامة مصطفى جواد وتراثه ،واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق،ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته التاريخية،مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، كما حاضر في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات القادسية والبصرة وواسط

حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية -ابن رشد -جامعة بغداد . كما نال شهادة (دبلوم)في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين .

لم يقف عند هذا الحد ، بل غذ السير ، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي. ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى" معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب ببغداد " ، وحصل على شهادة ماجستير آداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية . حصل على لقب "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة 1998.

والدكتور الكيلاني عضو اتحاد المؤرخين العرب 1996وعضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب1998 وعضو جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق1995 وعضو (شرف) لجنة الدراسات القادرية المغرب1997. مشرف مركز دراسات الإمام عبد القادر الجيلاني المتخصص بالتراث والتاريخ والأنساب القادرية 2011.

كرم بالعديد من الشهادات التقديرية من المجمع العلمي العراقي1996 والهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب 2000 ،والهيئة العامة للاثار 1997 وجامعة بغداد1999 وغيرها.

اهتم بتاريخ الأنساب وشغل نفسه بهذا اللون المهم من الدراسات التي تحتاج إلى معرفة بأمور كثيرة .وقد أجيز في مجال دراسة وتدقيق الأنساب من ثلة من الأساتذة العراقيين المعروفين أمثال الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف والأستاذ سالم عبود الالوسي والأستاذ اللواء احمد خضر العباسي والأستاذ الشيخ خليل الدليمي والأستاذ جمال الراوي ، ويفخر بأنه حضر دروس للعلماء الأعلام كل من الشيخ العلامة عبد الكريم محمد المدرس-مفتي الديار العراقية-والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور علي الوردي و العلامة الدكتور حسين أمين-والعلامة صالح احمد العلي والعلامة عبد الرزاق الحسني وغيرهم

كما أن لديه العديد من البحوث والدراسات والكتب .من كتبه المنشورة :كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني - تفسير جديد مراجعة الأستاذ الشاعر فالح الحجية الكيلاني ،مكتبة المصطفى ، القاهرة ،2009.وكتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي – بغداد 2011. وهو بالاصل رسالة باشراف الدكتورة لقاء الطائي والدكتور رؤوف وكتاب " بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي , دراسة وتحقيق " ،تقديم الدكتور حسين أمين شيخ المؤرخين –نشر على نفقة السيد احمد الكيلاني ،الجزائر2011 .وكتاب " أصول التاريخ الإسلامي " ،مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) 1999.وكتاب " تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبدالقادر الجيلاني" ، مراجعة الدكتور عبد القادر المعاضيدي (نشر محدود) منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية1996. وكتاب" دراسات في التاريخ الأوربي" ، تقديم الدكتوركمال مظهر احمد (معد للنشر) وكتاب ،الرحلات والرحالة في العصر العباسي : دراسة تاريخية وهو بالأصل أطروحته للدكتوراة (معد للنشر) ، .وكتاب التاريخ العثماني تفسير جديد تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف وكتاب التاريخ الاسلامي رؤية معاصرة تقديم الدكتور صالح احمد العلي وكتاب الاستشراق وكتاب المدخل في تاريخ الفلسفة الاسلامية وغيرها.

ومن بحوثه ودراساته :عرض كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني - تفسير جديد في مجلة فكر حر 2009.وعرض مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح 2005.ومقالة مصطفى جواد ومخطوطة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح 2006. ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديالى المشورة في جريدة العراق 2002.ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق 2002.ومقالة" الشرق الأوسط واصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الاداب جامعة عين شمس 2009.ومقالة عن " براغماتية السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب ",مجلة فكر حر2009.ومقالة عن "الشيخ عبدالقادر الكيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان،مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس 2009.وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف، مجلة رؤى 2010. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية " ، مجلة رؤى 2010.

هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الانترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات

التي كتبها موضوعات ،عن عصر الرسالة وعصور الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلامية وبعض الشخصيات الغربية ،مثل مقالات تدور حول الشيخ عبد القادر الجيلاني وذريته في العالم ،وأهمية ثورة الحسين في التاريخ العربي الإسلامي، و إبان بن عثمان المؤرخ المبكر،والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين ،والإمام البخاري ،والشيخ ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي،الامين والمأمون والميكافلية ،والطريقة القادرية المبكرة ،و معنى الباز الاشهب،و التراث الصوفي – دراسة أولية والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان، وتيمورلنك، والدولة الفاطمية وخلفاءها، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح ،وسليمان القانوني ،ومراد الرابع، وعبد الحميد الثاني، والشرق الأوسط ،والمكنا كارتا، وعبد القادر الجزائري، وجمال الدين الافغاني ،وعبد الكريم قاسم ،والحبوبي الشاعر والإمام، والسيد محمد باقر الصدر، والمؤرخ الدروبي وجهوده في تدوين تاريخ الأسرة القادرية في العهد العثماني، والرينسانس ،ومترنيخ، وبسمارك، وهتلر، وميكافللي والميكافلية، وونستون تشرشل، وجان جاك روسو ،والثورة الفرنسية، ولويس الرابع عشر ،ولويس السادس عشر، وماري انطوانيت ،ونابليون الأول ،ونابليون الثالث، وقراءة في كتاب-لينين-خطوة إلى الإمام خطوتان إلى الوراء، وتلخيص كتاب قصة الفلسفة للمؤرخ ويل ديورانت، وتاج محل ،والأزهر، والقرويين، وبدر شاكر السياب، و" الصراع السياسي والديني في اليمن قبل الإسلام -نجران نموذجا. "

درس التاريخ على أيدي العديد من أساتذة التاريخ في العراق منهم الأساتذة الدكاترة عماد عبد السلام رؤوف وكمال مظهر احمد وفاروق عمر ,وعبدالرزاق الانباري وعبد القادر المعاضيدي وخاشع المعاضيدي وعبد القادر الشيخلي وجعفر عباس حميدي ويقظان سعدون العامر وحمدان الكبيسي وقحطان عبد الستار الحديثي وهاشم يحيى الملاح وعبد الامير العكام وصادق ياسين الحلو ومفيد كاصد الزيدي ومحمد احمد الشحاذ وعبد الامير دكسن وعبد الجبار ناجي وفاروق عباس وهيب وخضير الجميلي وطارق نافع الحمداني ومحمد جاسم المشهداني ومحمد ياقر الحسيني ومزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبدالرزاق القيسي ومحي هلال السرحان.

من آراءه" أن التاريخ لايعرف اليوم والأمس والغد وإنما هو نهر الحياة يمضي الى الاجل المضروب الذي قدره علام الغيوب، فالتاريخ كله تاريخ معاصر ،نعم له تقسيمات علمية، ولكنه يعيش معنا ويهمنا وعلينا أن نستفاد منه في حياتنا كلها ويستند في هذا الرأي على أن استقراء التاريخ خير من التجارب ،وان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر ،يبدو ، امرا بعيدا عن الحقيقة والواقع لان التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها ببعض ، وان وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق،والفرق بيننا وبين الغرب اننا نعيش في التاريخ فقط وهم يفهمونه ويستغلونه لتحقيق مصالحهم،و التاريخ هو طريق الإنسانية الى الحضارة، لأنه ضوء ينير الماضي لرؤية الحاضر و المستقبل ، فجذور أنظمتنا السياسية ،والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ،تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية.."


مرفقات

بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية العراق
ديوان الرئاسة
المجمع العلمي

العدد / ٨٠٢
التاريخ / ١٤ / رجب / ١٤١٧هـ
٢٦ / ١١ / ١٩٩٦م

السيد جمال الدين فالح الكيلاني المحترم
ص. ب ١٩٥ (باب المعظم)
بغـــــداد

تحية طيبة :

تلقينا رسالتك الكريمة وقدرنا اهتمامك بالمجمع العلمي ، ونحن إذ نشكر لك هذا الاهتمام نود أن نبين لك أن المجمع العلمي يرحب بالتعاون معه في جميع المجالات العلمية وينظر الى الجهود العلمية الذي يبذلها الباحثون بعين الرعاية والاهتمـام .

وبصددُ مؤلفاتكم فانكم تستطيعون أن تقدموها الى المجمع لينظر فيها ، وأما بخصوص المسـكوكات التي قد ترجع الى العصر السلجوقي فأن مديرية الآثار العامة مهتمة بها ولك أن تقدمها اليها .

نكرر الشكر والمجمع العلمي مستعد للتعـاون مع جميع الباحثين الخيريـن ونرحب باستقبالكم في المجمع لبحث الموضوع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور ناجح محمد خليل الراوي
رئيس المجمع العلمي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز أحياء التراث العلمي العربي



Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Of Baghdad
Center of Revival of Arabian
Science Heritage

العدد: ٩٥٨
التاريخ: ١٧/ ٧/ ٢٠١٦

No:
Date: / / 201

إلى / الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني

م / شكر و تقدير

تحية طيبة...

لجهودكم العلمية المتميزة في تحقيق المخطوطات العربية وإزاء تلك الجهود لا يسعنا إلا ان نتقدم لكم بالشكر والتقدير والعرفان أملين المزيد من العطاء والتميز خدمة لتراث امتنا العربية والإسلامية ولبلدنا العراق العزيز .

مع التقدير...

أ.م.د. عبدالله حميد العتابي
مدير المركز

نسخة منه الى///
- وحدة الإدارة / مع الأوليات.
- الحفظ العام.

جامعة بغداد - الجادرية ... رقم الهاتف 7783621
Baghdad- Al-Jadiriyah ... 7783621